

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس

كلية الأدب العربي و الفنون

قسم اللغة العربية وأدائها



مذكرة تخرج لنيل درجة الماستر في اللغة العربية

تخصص دراسات أدبية مقارنة

صورة المرأة الأجنبية في الرواية الجزائرية دراسة في المخيال

إشراف الدكتور :

جعفر يايوش

إعداد الطالبة:

شرارة ليلي

السنة الجامعية: 2015 - 2016

الفهرس

العنوان

الإهداء

أ

المقدمة

المدخل : الصورائية و علاقتها بالدراسات المقارنة

01 مفهوم الصورائية

03 صورة للأنا

04 صورة الأخر

06 علاقة الأنا بالأخر

10 علاقة الصورائية بالأدب المقارن

12 المخيال الروائي

16 المخيال وتجلياته في الخطاب الروائي الجزائري

الفصل الأول : حضور الآخر في الرواية الجزائرية

20 تناول الآخر في الرواية الجزائرية

27 صورة المرأة الأجنبية في الرواية الجزائرية

الفصل الثاني : تجليات صورة المرأة في الرواية الجزائرية

- 34 1- المرأة والدين.
- 39 2- المرأة والمجتمع.
- 42 3- المرأة الجزائرية والمرأة الأجنبية.
- 42 أ- المرأة الجزائرية
- 46 ب- المرأة الأجنبية.

الفصل الثالث : دراسة تطبيقية لصورة المرأة الأجنبية في ثلاثية أحلام مستغانمي

- 49 ملخص الرواية
- 53 صورة المرأة الأجنبية في الرواية الجزائرية :
- 57 الشخصية الأجنبية و علاقتها ببقية الشخصيات في ثلاثية أحلام مستغانمي
- 58 الشخصية الأجنبية و علاقتها ببقية الشخصيات
-
- 61 علاقة الشخصيات الأجنبية بالمكان
-
- 64 الخاتمة
-
- قائمة المصادر و
- المراجع

المقدمة :

إن ثلاثية احلام مستغانمي (ذاكرة الجزائرية الجسد ، فوضى الحواس ، عابر سرير) تعتبر من أنضج نماذج الرواية الجزائرية في معالجتها لموضوع المرأة الأجنبية و الجنس لأنها تواجه هذا الموضوع بجرأة لكنها شديدة الصدق و

الأصالة اخترت هذا الموضوع للدراسة لأسباب ذاتية و أخرى موضوعية الذاتية مرجعها حب المغامرة لخوض تجربة القراءة و الاطلاع على الأعمال الأدبية من جهة ومن جهة أخرى كونها روايات تداخلت فيها مستويات مختلفة تاريخية جمالية ، رمزية ، عاطفية ، و ترجع الأسباب الموضوعية لكون الروايات حديثة طالت حقل جمالي معرفي كانت المرأة موضوعا أساسيا ل طرحها قضايا كثيرة .

ومن ثم حاولت في هذه الدراسة معالجة بعض الأشياء الجوهرية التي طرحتها هذه الروايات فبني هذا البحث على الإشكالية الآتية :

كيف تجلت صورة المرأة الأجنبية في هذه الروايات ؟

و الإجابة عن هذا السؤال كان منهاجا تحليليا وفق خطة وزعت على مدخل وثلاث فصول تسبقه مقدمة وتعقبه خاتمة .

كان المدخل يتناول مفهوم الصورائية علاقة الأنا بالآخر و علاقة الصورائية بالأدب المقارن وكذا مفهوم المخيال الروائي.

يأتي الفصل الأول نتناول حضور الآخر في الرواية الجزائرية.

اما الثاني فقد عنون بتجليات صورة المرأة في الرواية الجزائرية يتضمن ثلاث عناصر الأول المرأة و الدين و الثاني المرأة و المجتمع و الثالث خصص للمرأة الأجنبية و المرأة الجزائرية.

يأتي الفصل الثالث الموسوم بدراسة تطبيقية دراسة مخيال تتضمن صورة المرأة الأجنبية في ثلاثة أحلام مستغامي اما الثاني علاقة الشخصية الأجنبية بباقي الشخصيات الثانوية (و الثالث تمثلت بعلاقة الشخصية بالأماكن . وانتهى البحث بخاتمة احتوت على بعض النتائج .

وتجدر الإشارة إلى إشكالية الموضوع في حد ذاته فصورة المرأة الأجنبية إذا ما تعلقت بالرواية الجزائرية لأنها لا تحدد في إطار موضوعي بل تبقى دائما في إطار تحول وبحث دائم.

كانت مغامرة تتطلب الصبر و التحدي لكن هذه الصعوبات غرضها متعة البحث و الفائدة يجدر في الأخير أن أتقدم بخالص الشكر و الجميل إلى الأستاذ المحترم الذي أشرف على البحث و قدم أحسن الرعاية بمتابعته الدائمة و نصائحه القيمة .

المدخل الصورائية و علاقتها بالدراسات المقارنة العناصر

➤ مفهوم الصورية

➤ صورة الأنا و صورة الآخر

➤ علاقة الأنا بالآخر

➤ علاقة الصورية بالأدب المقارن

➤ المخيال الروائي

مفهوم الصورية:

يقول عزوجل : " وَمِنَ النَّاسِ وَالذَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ

الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (28)"⁽¹⁾

⁽¹⁾ - القرآن الكريم، سورة الجاثية الآية 28.

لقد خلق الله عزوجل عباده وميز بينهم، إذ نجد عزوجل يصرح بذلك تصرّحاً واضحاً ، فالاختلاف بين الأمم يكون في أخلاقها وطبائعها كما تختلف في مناحي الحياة كلها، ومن هنا فان عقليات الأمم تختلف اختلافاً واضحاً في نفسياتها وسلوكها

فإذا أردنا التعمق في الآداب القومية المختلفة نجد أن كل أدب يحتوي على نوعين من الصور:

-نوع يتعلق بصورة كل شعب في أدبه القومي

ونوع آخر يتعلق بصورة الشعوب والأمم الأخرى في الآداب الأجنبية وهذه الدراسة تخطت حدود الآداب القومية فقد لاقى اهتمام كبير من قبل علماء الأدب لمقارن في وقت مبكر، وقد وضعوها كمبحث ضمن ميادين البحوث المقارنة وقد أطلقوا عليه تسمية الصورولوجيا لها ولكن لا بد من الوقوف عند نقطة هامة ألا وهي طريقة تناول الصور إذا أخذنا مثلاً أي عمل أدبي تناول فيه الأديب قضايا مجتمعه أو حضارة بلاده مثلاً فإننا نجد يختلف عن عمل أدبي قد تناول نفس القضايا أو نفس الحضارة من خلال أديب أجنبي⁽¹⁾.

ونأخذ على سبيل المثال ما قدمه المستشرقون حول الحضارة العربية الإسلامية ، فقد زيفوا الحقائق حول² العروبة والإسلام ونأخذ من بين هؤلاء المستشرقين الأمريكي واشنطن أيرقنج الذي وضع دراسات حول سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وركز على قضية الجبرية في الإسلام واعتبرها بند أساسياً من بنود العقيدة الإسلامية ، واعتبر الرسول أنه قد فرضها لإنجاح حروبه مع العدو وذلك يوم اقتنع المقاتلين أن مصيرهم قد أقره الله ،

(1) - عود عبده الأدب المقارن مدخل نظري ودراسات تطبيقية ، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية ، مطبعة المدينة، سوريا،

1998/1997، ص 371.

(2) - حسين هيكل محمد ، المكتبة ، النهضة المصرية ، مصر ، ط3 ، 1968 ، ص 30.

سبحانه وتعالى مسبقا فهو يدفعهم إلى ساحة المعركة دون ادني خوف من الموت طالما أنهم سيستشهدون ويفوزون بالجنة⁽¹⁾.

ومن هنا نلمح تلك الصورة العدائية التي قدمها أدب قومي ضد شعب آخر قد ظهر كثيرا في القرون الوسطى نضيف إلى المثال السابق صورة للعرب في الأدب الصهيوني هذا من الجانب السلبي.

أما الجانب الايجابي تتمثل في تلك الصورة الايجابية التي يرسمها أدب قومي معينة لأمة أجنبية مثل هذه الصور صورة ألمانيا النازية في الرأي العام العربي وفي بعض الأعمال، هكذا يبني أي أديب أفكاره وآراؤه سواء بالإيجاب

أو بالسلب لصورة أي بلد آخر أجنبي ومن هذا المنطلق ظهرت دراسات جديدة تهتم بهذا المجال لتزيح

الغموض وتوضح الأمور ظهرت ما تسمى "بالصورولوجيا أو الصورائية IMARFOLOGIE كحقل جديد

على يد علماء الأدب المقارن الذين اهتموا به اهتماما كبيرا وقاموا بضمه إلى ميادين البحوث المقارنة وقد شهد

هذا النوع من الأبحاث المقارنة ازدهارا ملحوظا في الأعوام الأخيرة وذلك في إطار مناخ التعايش السلمي

وصعود حركات السلام والميل إلى التفاهم والتقارب الذي حل محل الحرب الباردة والصراعات المسلحة في

العلاقات الدولية.

ومن هنا نستطيع القول أن الصور التي أنتجتها الآداب الأجنبية بمثابة تغيير وتزييف لحقائق للشعوب والأمم

والحضارات ، مما ولد سوء فهم بين الدول والمجتمعات، وهذه الاختلافات وسوء الفهم أفرزت نتائج سلبية

وأخرى ايجابية.

ومن هذا المنطلق نستنتج أن الصورائية استطاعت أن ترد على الكثير من التساؤلات التي طرحت حول العلاقة

الرابطة بين الصورائية، ودراسة الأدب وعن قدراتها حول معالجة وفهم الأعمال الأدبية ، وقد ردت على كل

فند وجود علاقة بينهما وبين الأدب، فهذه الدراسة تفيد الأبحاث السياسة والاجتماعية ، وكذا الدراسات

(1) - عبود عبده المرجع السابق، ص 371.

النفسية بالدرجة الأولى ، إذ يوجد فيه علماء النفس والاجتماع والسياسة ، أكثر مما يجدها الأدباء إن اعتراضات كهذه مشروعة تماما ولا يمكن تجاهلها ولا يكون الرد عليها إلا بأن تتمكن الدراسات الصورولوجية من أن تميز نفسها من استقصاء الصور والقوالب الجامدة التي يجربها علماء الاجتماع والسياسة ويكون ذلك بان تركز جهودها على الجوانب الأدبية لصور الشعوب الأجنبية في الآداب القومية.

صورة للأنا:

إذا كان هناك اختلاف بين صورة شعب من الشعوب في أدبه القومي أي صورة الأنا، وبين صورة ذلك الشعب في الآداب الأجنبية والمقصود به صورة الآخر، فانه يوجد اختلاف بينهما ولهذا لوجود عدة أسباب بارزة نذكر منها:

السبب الأول يكمن في أن صورة الأنا تكون وفق تجارب وخبرات مختلفة مزودة بالمعارف الفنية قام بها الأديب في المجتمع الذي هو بصدد دراسته وتصوير هذا الأخير يكون ذا سابق معرفة بأبناء تلك المنطقة الذين يكونون مترابطين اجتماعيا ونفسيا.

فالمعرفة العميقة تعطى صورة دقيقة وهذا مخالف بطبيعة الحال للصورة التي يرسمها أديب لشعب أجنبي يجله أما الثاني فان الأديب ابن بيئته مرتبط بها ماديا ومعنويا وبهذا فهو أدري بمحوم مجتمعه بطبيعة الحال ، حريص عليه أشد الحرص فالأديب تربطه بمجتمعه علاقات اجتماعية ، نفسية وأخلاقية جد وثيقة والأديب في كثير من الأحيان يرسم صورة سلبية لمجتمع و هذا ليس بدافع تشويه وانما للإصلاح والتغيير نحو الأفضل.⁽¹⁾

صورة الآخر:

نعني بها تلك الصورة التي يرسمها أديب ما لشعب أجنبي ولا تستفيد على أساس متين، إذ لا تكون مشروطة بتجربة ومعرفة سابقة بظروف ذلك المجتمع غالبا ما يكون مصدر تلك الصورة أسفار ورحلات أجزاها أديب

(1) - عبود عبده الأدب المقارن ، المرجع السابق، ص 374.

إلى بلد أجنبي أو لأن الأديب ذهب منطقة أخرى بهدف الدراسة، والعمل وهناك من الأدباء من يقيمون فترة طويلة في بلد ما لأنه ولظروف قاسية هجر بلاده.

وتاريخ الأدب العربي أعطى لنا أمثلة كثيرة منها خليل حاوي وللطيب صالح السوداني الذي مكث في بريطانيا عبد الوهاب البياتي في اسبانيا.

والأدب يضع صورة للبلد الأجنبي من معلومات حول ذلك البلد وليس من معرفة مباشرة ، فمثلا كثير من الأدباء الذين وضعوا صورة للشرق العربي الإسلامي لم يزوروا أبدا هذه المنطقة نجد الأديب الألماني غوته GUT تعرف على الشرق العربي الف ليلة وليلة إضافة إلى الشعر العربي القديم والقران الكريم وكتب التاريخ. أما الأديب الألماني الشهير كارل ماي (Karl Maiy) كانت قصص المغامرات، وضع صورة العرب في مثول العديد من القراء الألمان والأوروبيون كما قدم في روايات عديدة له صورة مليئة بالغرائية لشعوب الشرق الأدبي، فالصورة التي قدمها تستند على خيالة الواسع، وليس من منطلق معرفة حقيقة، فهناك مناطق يصفها بالتفصيل كردستان ومناطق البادية والصحراء الغربية وعليه يجب التركيز على نقطة مهمة ألا وهي أن الأدب عند تعرضه لصورة مجتمع أجنبي لا يعبر عن مشكلات وهموم وقضايا ذلك المجتمع ولا يكون للأديب أي رغبة في إصلاح أو تغيير ذلك المجتمع نحو الأفضل⁽¹⁾.

فالصورة المرسومة من طرف الأديب لهذا المجتمع الأجنبي يكون دافعه الرئيسي هو مشكلات الأديب نفسه سواء النفسية أو الاجتماعية فالغاية هي نفع الأديب لمجتمعه الخاص فنيا أو نفسيا أو ثقافيا على حساب المجتمع الأجنبي فصورة الشرف في أثار الأدباء مثلا تتسم بنقطتين أساسيتين هما:

(1) - عبود عبده الأدب المقارن مدخل نظري ودراسات تطبيقية ، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية ، مطبعة المدنية، سوريا،

رؤية الشرق بعين أوروبية وليس بعين شرقية، فالمرء يرى بمنظاره الخاص، أنها مسألة معرفية عادية وليس لها أي علاقة بحسن النية فالشرقي بدوره لا يستطيع أن يرى الغرب إلا بأعين شرقية.

وهي تلي من الناحيتين الإنتاجية والاستقبالية حاجات ثقافية أوروبية وعلى رأسها حاجتان: الحاجة إلى الغرائبية، والحاجة إلى تأكيد الهوية الخاصة حيث أننا نجد بأن الغرائبية قيمة ترفيهية كبيرة، وهذا لما تحتويه من إشارة خاصة عندما تترافق تلك الغرائبية مع مغامرات في بلاد بعيدة فالأوروبي وهو يواجه صورة الشعوب الأخرى يكون متمسكا بهويته الثقافية والأديب يضع صورة الآخر يهرب من مجتمعه الخاص الذي ضاق درعا كبيرا من المشاكل ، حيث أننا نجد صورة الهند والصين وإيران، والمشرق العربي في آثار كثير من الأدباء الأوروبيين تكون بدافع هروب هؤلاء الأدباء خياليا لمجتمعاته الصناعية التي تسود فيها قوانين عقلانية والترشيد والتقنية الانحاز الاقتصاد والإدارة الشاملة الفعالة على مجتمعات أخرى غير صناعية متأخرة تقنيا في اعتقاد الأديب أن تحرره في هذه الأخيرة.

كما أن صورة الآخر من تناقض حضاري وسياسي بين الأمة التي ينتهي إليها الأديب والأمم الأجنبية، مثل صورة العرب والمسلمين في آثار الكتاب الأوروبيين في القرون الوسطى تلك الصورة وتخوف الأوروبيين من الحضارة العربية الإسلامية ومحاولتهم العدا والغيرة الجامحة في تحطيم تلك الحضارة بالوسائل العسكرية، وهذا ما عبرت عنه غزوات الصليبية في نفس الشيء بالنسبة لصورة العرب في الأدب الصهيوني في الحديث، فهي تعكس ذلك العدا السياسي والحضاري الشديد السائد بين العرب والصهاينة. هنا صور الآخر تتمثل في إثارة العدا والبغضاء في نفوس المتلقين وتحريضهم ضد الشعب الآخر.⁽¹⁾

علاقة الأنا بالآخر:

(1) - المرجع السابق، ص 371.

إن الوعي بالأننا يستوجب الوعي بالآخر وان غاب أو انعدم هذا الآخر فإنه يستحيل الحديث عن الوعي بالذات الحقيقية ، تلك هي الرؤية الفلسفية التي خاضها مجموعة من الفلاسفة الذين راودتهم فكرة ازدواجية الصلة في التعلق الأننا بالآخر تعالقا يشوبه الكثير من التشاحنات والتصادمات وان تتبعنا تطور هذه الرؤية الفلسفية لوجدنا ان ديكارت في صياغته لمبدأ الكوجيتو القائل أنا أفكر إذن أنا موجود على ما فيه من استيعاد كمفهوم للآخر والافتراض بوجود الأننا بيد أن وعي هوسرل HOSSEREL بوجود الآخر كحقيقة مشروعة، جعله يتبنى تصور ديكارت Di kart الكوجيتو، ويعيد بلورته برؤية جديدة من خلال مؤلفه "تأملات ديكارتية" ليعلقه هيدغر Aiguer بتعميقه في البحث عن جدلية العلاقة بين الأننا والآخر موسعا في المسألة ومعتبرا أن لانا لا يثبت وجوده إلا من منظور علاقته مع الآخر التي طابعها أخلاقيا مكثفا من حيث الدلالة وموسوما بالطرح المنطقي والبديهي أن حضور الأننا هو من حضور الآخر والعكس صحيح، وكأنها علاقة تلازمية وتكاملية يستوي فيها الطرفان على حد سواء من حيث قمة الأمر الذي دعا سارتر Sartre لدراسة العلاقة بينهما في كتابه "الكينونة والعدم" مستقرا سبل إدراك ظاهرة الأنطولوجية علم الكائن مركزا على تصوره للوجودية التي بلور فيها قوله بخيارين أما أنا وآخر وإذا كان هذا الآخر بمفهومه يعني الجحيم فإن حاصل عملية الطرح تؤكد ثبوت كينونة الأننا.

في حين نجد مارلويونتي Marlontti يذهب من خلال مؤلفه "ظاهرة الإدراك" إلا أن الشرط الأساسي بتجاوز التصادم القائم بين الأننا والآخر هو وجود اللغة لقوله: "فإن كان الأمر يتعلق بشخص مجهول لم ينطق بعد تجاه بكلمة واحدة يبقى بوسع الاعتقاد⁽¹⁾ أن يعيش في عالم مغاير عن عالمي... لكن يكفي أن ينطق

(1) - بوشفرة نادية: هوية الضمائر بين الجدل للأننا والآخر في رواية حاتم الشفق.

بكلمة أو تصدر عن ترك تتم عن نفاذ صبره حتى يكف عن الاستعلاء على ذلك إذن هو صوته وتلك هي أفكاره"⁽¹⁾.

غالبا ما تتمحور صورة الآخر ضمن العلاقة بين الأنا وللآخر أما الشعور والاشترك أو بعدم لاشترك في مواطن عامة، فتكون المواطنة التي هي المشترك بين الأفراد الشعب، يشرع لهم التصرف كرعايا بالكامل ضمن المجال لعمومي فهي مقياس إدماج الأشخاص انه لمن الجلي أن صورة الآخر هي الآخر فالصورة تختلف عن الواقع إذ هي اختراع ، فالباحث جان فارو عندما اعتبر أن للأنا الذي لا يوجد الآخر بدونه هو اختراع تاريخي متأخر نسبيا لارتباطه باكتشاف الوعي بالذات.

لقد سبق الوعي بالذات آخر نحن الذي كان يرتبط بالقبلية حيث كان تمثل محيط وعليه هذا ما يمكن أن يتجسد في النزاعات القبلية في إفريقيا أو ما يحدث اليوم من عنصرية وعدم التسامح ، لقد امتد الآخر فيما اتخذه لآخر العدو في صورة مختلفة، إذ أن هناك جذور عداوة في كل ثقافة ، واصدق دليل على ذلك النزعة الأوروبية في إنشاء الاتحاد الأوروبي الذي لم يكن هدفه قيام الهوية الأوروبية ، بقدر ما كان هدفه الأساسي استرجاع عداوات تقليدية أبرزها عداوة الشرق.

لقد أثير جدل كبير بين الأنا والآخر ، حيث النظر إلى الآخر على أساس انه مختلف يجيل بالضرورة على الترتيب الذي أوجهه الأولى التسمية التي تؤدي إلى طمس واختزال أبعاد وصفات لتثبت صورة الفرد والجماعة، ومن ثم كان هذا النوع من التجريد يؤدي إلى العنصرية⁽²⁾

ترى الباحث أسماء العريف أن الآخر جزء من الذات وآي نفى للآخر هو بتر للذات ، أي قطع جزء منها وهو الجزء الملعون من الذات فتصور الذات لا ينفصل عن تصور الآخر، بينما ترى دلال البرزي أن الآخر

(1) - المرجع السابق، بوشفرة نادية .

(2) - طاهر لبيب: صورة الآخر ناظرا ومنظور إليه مركز دراسات الوحدة العربية، ص 130.

باعتبار ماله من وظيفة في بلورة الهوية وتنظيم الخصوصية وعندئذ لا توجد علاقة بين الأنا والآخر إلا ضمن بوتقة قاعدة غالب ومغلوب.⁽¹⁾

وعليه إذا أردنا أن نكتشف الآخر في ثقافتنا العربية نجد أن مختلف الرحلات التي قام بها الباحثون العرب إلى أوروبا كانت في الواقع تظهر بلامح الوقوف على مظاهر التقدم وعلى بعض أسراره لكنهم انطلقوا برؤى طالما سيرتهم ومن هنا كانت اكتشافاتهم تثمينا للبحث عن الذات غالبا أكثر مما تبتغى فيه البحث عن الآخر فالجدل القائم بين الأنا والآخر هو استحضار للآخر بهدف التحرر منه على نحو يرى في حسن حنفي أن جدل الأنا والآخر تقوم على تمثل مسارين في تشكيل خطين بيانين يتقطعان كل سبعمئة عام، بحيث إذا كان دورة الأنا في القمة تكون دورة الآخر في القاعدة وإذا كانت دورة الأنا في القاعدة تكون دورة الآخر في القمة. والبحث عن الذات بين كل هذه المتاهات التي تصدرها ثقافتان الأولى لا تقبل عظمتها التقليل من شأنها والثانية لا يقبل ضعفها التشنفي.⁽²⁾

كما تعد الغيرية منطلقا إنسانيا قوامه العلاقة بين الأنا والآخر من خلال ادوار متباينة ومتشابكة ومتعاكسة ولتحديد الأنا بمختلف أبعاده لا بد من وجود الآخر، موضوع الآخر كان ولا يزال من أبرز مجالات الأدب المقارن حيث درس المختصون موضوع صورة الآخر في الآداب الغربية على أوجه التحديد والآخر بالنسبة إليهم طالما ارتبط باللون أو باللغة أو بالعرف أو بالحضارة.

ومع تطور المجالات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي المقارن لم يعد الآخر مقتصر على ما ذكر سالفا، وإنما أصبح ممكنا أن نجد داخل الأمة الواحدة آخر وهذا مما أنتج بالدرجة الأولى كتابات مختص في قضيتي العرفية والقومية.

(1) - المرجع السابق، ص 130.

(2) - حسن حنفي. مقدمة في علم الاستغراب التراث و التجديد نقلا عن المرجع نفسه ص 191

مفهوم الآخر يعد من أكثر المفاهيم حضوراً في الكتابات المعاصرة حيث أصبح قضية مركزية في حل الدراسات السياسية والاقتصادية والفكرية والثقافية وللمؤتمرات ولندوات في معظم مناطق العالم على حد سواء. وقد يرتبط مفهوم للآخر بمفاهيم مجاورة خاصة في الدراسات الفكرية والنقدية أبرزها الأنا الاختلاف الثقافة الحضارة لإستشراق العرقية، الأقليات، الهوية لا يمكن تحديدهم إلا في ضوء مرجع هو (الأنا) ، فإذا حددنا للانا كان للآخر فرداً أو جماعة بحكم علاقاته بالانا عامل التمايز وهو تمايز إطاره الهوية أحياناً والإجراء في أحيان أخرى⁽¹⁾.

إذن لا وجود للآخر دون وجود للانا فلا بد من توفر شرط الاختلاف والتمايز حتى يمكن التفريق بينهما فكلاهما يحدد غيره ويحيل إليه ، فبمجرد قول عبارة صورة الأخر يتبادر مباشرة إلى الأذهان مفهوم الذات والأنا ومما يجب الوقوف عنده في هذا المقام أن قضية للانا والآخر لا ترتبط دائماً بوجود علاقات ثقافية فقط بين الطرفين، وإنما يتسع المجال ليشمل العلاقات بين الجنسين (ذكر - أنثى) والعلاقات الاجتماعية ، كما يحدث في إطار العرف⁽²⁾. والأقليات واللون أو حتى الدين والانتماءات الجنسية في إطار جغرافي محدد وحسب سعد اليازغي يقسم بعض النقاد الآخر على الأخر الفلسفي أو الفكري الأخر النفساني ، للآخر الإبداعي الآخر الثقافي (الديني الشعبي الحضاري)⁽³⁾.

ويصرح حسن حنفي قائلاً: "غالبا ما يكون المقصود بالآخر صورته والصورة بناء في المخيال فيها تمثل واختراع ولأنها كذلك فهي تحيل إلى واقع أكثر مما تحيل إلى واقع الآخر.

(1) - مصلح النجار: الدراسات الثقافية والدراسات ما بعد الكولونيالية الأهلية، الأردن، ط1، 2008، ص 51.

(2) - سعد اليازغي: الاختلاف الثقافي وثقافة الاختلاف، المركز الثقافي العربي، بيروت، للدار البيضاء، ط1، 2008، ص

(3) - المرجع السابق: سعد اليازغي ، ص 51.

إن الآخر قد يرتبط بمفاهيم أخرى أبرزها العرقية والعنصرية، لهذا فالآخر يتأسس مع مفهوم العرق⁽¹⁾.

علاقة الصورائية بالأدب المقارن:

يعتبر الأدب المقارن أفقا واسعا يدرس تقاطع الآداب في لغات مختلفة، وهو حقل غربي شكلا ومضمونا وترعرع في الثقافة الغربية، وانتقل إلى الساحة النقدية العربية إثر حركة الترجمة والبعثات، ومارسوا مناهجه وعادوا يطبقونه في الشرق وقد يكون هذا الانتقال من العواطف والأحاسيس التي تبدي عن أديب آخر، وقد يكون الانتقال من رأي معين، رآه أديب من الأدباء فقلده وجرى عليه أدباء آخرون في آداب أخرى⁽²⁾.

وإلى جانب العلاقات التي تربط بين هذه الآداب من تأثير وتأثر وظهور اتجاهات ومناهج نقدية جديدة في دائرة الأدب المقارن وبما أن ميدان الأدب المقارن أوسع مما يبدو لأول وهلة، إذ هو لا يقتصر على دراسة الاستعارات الصريحة وانتقال الأفكار والموضوعات والنماذج الأدبية لأشخاص وشعوب من أدب إلى آخر، بل يشمل دراسة نوع التأثير الذي اصطنع به الكتاب في لغة التي يكتب بها بعد أن استقاه من أدب إلى آخر⁽³⁾.

نستنتج من هذا التعريف الموجز الأدب المقارن العلاقة التي تربطه بالصورائية من حيث كون البحث دراسة الصورائية من مثل ذلك صورة المحتل في الرواية الجزائرية في رواية اللاز، إذ أن المحتل يحمل مميزات ومعالم الأمة العربية كما صورها الطاهر وطار في روايته وهي تختلف عما يراه الأوربي ومن هنا نستخلص الأثر الذي تتركه تلك الصورة من جانب نظرة الأديب إلى تلك الصورة من جانب آخر في مختلف الشخصيات، وقد تتعدى

(1) - صورة الآخر: العربي ناظرا ومنظور إليه، تحرير الطاهر لبيب، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، 1999، ص

(2) - محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، دار العودة، دار الثقافة، ط1، بيروت 1999، ص 14.

(3) - طه ندا: الأدب المقارن، دار النهضة العربية، بيروت، 20-21.

نواحي المعنى الأدبي للشخصية على يد مختلف الكتاب بل قد تتضاد هذه المعاني وتتضارب تبعاً لتأويلات المؤلفين واتجاهاتهم وغايتهم في الكتابة.

ومن خلال هذا نستنتج أن مبحث الصورائية يندرج ضمن الأدب المقارن، كما تعتبر حقلاً من حقوله نظراً لما تعطيه من أهمية الأدب آخر، فهي تعبر عن ثقافة وأمة وعن مجتمع بأكمله بحيث تعد أخصب مجالات البحث في الأدب المقارن نذكر منها حقل التأثير والتأثر وحقل الموضوعاتية وحقل الترجمة الأدبية⁽¹⁾.

المخيال الروائي:

يلعب الخيال دوراً حاسماً في عملية المعرفة، إذ يتجلى في أبسط مستوياته التصور الذي يمكن الإنسان من تكوين أفكار عن العالم المادي فما الأفكار إلا نسخ أو خيالات عن الأشياء، كما يظهر الخيال في عملية التذكر التي تسمح لنا باستحضار الخبرات السابقة وربطها بزمنها ومكانها، وبتراكم هذه الخبرات يجد الخيال مادة خصبة ينفلت فيها من قيود الزمان والمكان ويلج إلى آفاق أرحب.

يحدد الخيال إذن بوصفه ملكة من ملكات العقل البشري وإحدى العمليات الذهنية التي تتولد عنها الصور باختلاف أنواعها وعلاقتها بالواقع.

تباينت المقاربات المعرفية للخيال ولفعل المتخيل والتخيل في الثقافتين العربية والغربية، وقد اتفقت النظرة التقليدية له على اعتباره منافياً للعقل وعلى منحه مرتبة كونية مقارنة به.

(1) - محمد غنيمي هلال، المرجع السابق، 326.

لقد تعددت المداخل التي تحدد المخيال والالتباسات وتعدد الاشتقاقات اللغوية من الجدرخ ، ي، ل ارتأى
الشروع لهذه الصيغة مخيال ولل فروق بينهما وبين المتخيل و "التخيل" و "المخيلة" قبل الشروع في تعريف
المصطلح .

يلتبس مصطلح المخيال بعدة مصطلحات تتقاطع عه اشتقاقيا وداليا⁽¹⁾.

الخيال هو الملكة العامة التي تربط بإحدى فعاليات العقل البشري ألا وهي التخيل، والتخيل هو جملة تصورات
مرتبطة ببعضها ببعض على نحو خاص يتخذ مادته من خبراتنا الحياتية إذ أن هذه المادة موجودة فعلا ولكنها
تظل تتركب وتتعدد حتى تأخذ شكلا جديدا يختلف عن الأجزاء القديمة التي تكون منها⁽²⁾.

والتخيل إما أن يكون استرجاعا أو ابتكارا يربط بين الأفكار والصور بطريقة جديدة غير معهودة وهي فضاء
افتراضي أكثر منه واقعي تتأطر فيه عملية التخيل بكل مستلزماتها يورد مصطلح المخيال هنا مرادفا للاستعمال
العام لكلمة متخيل ومقابلا للمصطلح الفرنسي *Imaginaire*، المخيال على وزن مفعال بدلا من متخيل
على وزن منفعال، الصيغة الأولى تنسجم أكثر من المفهوم الذي تخصصه لها من حيث كون المخيال معطى انثر
وبولوجي من خواصه طغيان اللاوعي وصفة جماعية ونحن لا نعتبره متخيلا إلا عندما يدخل في عملية الإبداع
مادة للتشكيل الأدبي تتدخل فيها قصدية المبدع وتستوعب فيها ذاتيته ما فيه من مواصفات تخيل على الجماعة
بعبارة أخرى يصبح المخيال متخيلا عندما يقع تحت طائلة الجهد الإبداعي المنتقي ، ويتسرب إلى النصوص
ضمن منظور أدبي مخصص ومن المعلوم كان المتخيل الأدبي أشمل من المخيال لان هذا الأخير لا يتدخل فيه إلا
بوصفه مادة من مواده ومستوى من مستوياته الكثيرة والمتشابكة⁽³⁾.

(1) - المصطفى مويقن: بنية المتخيل في نص ألف ليلة وليلة، دار الحوار للنشر والتوزيع ، سوريا ، ط1، 2005، ص 578.

(2) - كامل محمد عويضة: سلسلة علم لنفس الشخصية، ص 152.

(3) - المرجع السابق، سلسلة علم النفس الشخصية، ص 157.

تعريف المخيال:

يعتبر مفهوم المخيال من المفاهيم التي يصعب تحديدها بسهولة وهذا راجع أن هذا المفهوم. أولاً تتحكم فيه آليات وميكانيزمات عقلية ونفسية واجتماعية في آن واحد ثانياً يلجأ عامة الناس إلى استعمال كلمات تؤدي إلى نفس المعنى أو تقترب منه وهي في هذا السياق يقول جلبرت دوراند (Gilberte Durant) إننا كثيراً ما تستعمل كلمات مثل صورة علامة ، أسطورة عليه المخيال هو الجانب اللامرئي في حياة الأفراد، ويتشكل منه مجموعة من العناصر كالرموز ;الصور، ويظهر من خلال أجزائه كإيديولوجيا اليتوبيا الأسطورة والحكاية⁽¹⁾.

يبي جلبرت دوراند مفهومه للمخيال على ركيزتين أساسيتين هما أعمال غاستون باشلر والطهرانية المادية وأعمال كارل يونغ صاحب نظرية اللاوعي الجمعي.

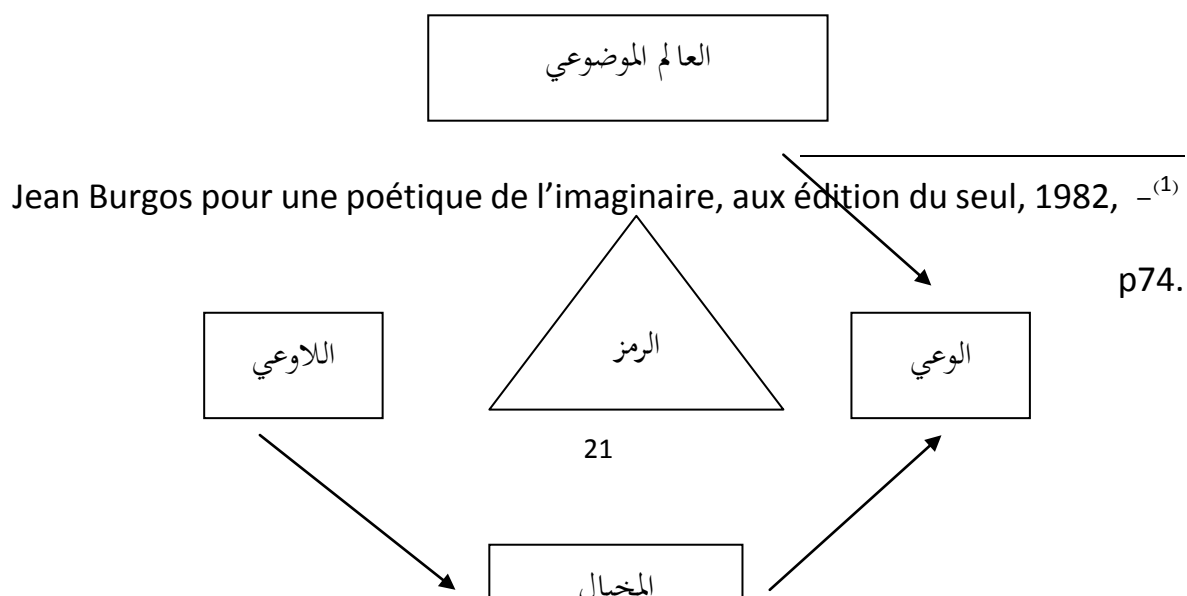
يفسر دوراند نشأة المخيال حسي للمقاربة الأنثروبولوجية يتبادل حديث بين الواقع الذاتية والتمثيلية وبين الاقتضاءات الموضوعية الصادرة عن الوسط الطبيعي والاجتماعي . فالمخيال ينشأ من هذا الأخذ والرد الذي تخضع فيه تمثيلات الموضوع وتتحول تطبقاً لتحديدات الدوافع الغريزية للذات والذي تفسر فيه بالتزامن مع ذلك، التمثيلات للذاتية بالمتكيفات القبلية للذات في الوسط الموضوعي⁽²⁾.

⁽¹⁾ Gilbert Durand : Les structures anthropologique de l'imaginaire, Dunod
paris onzième édition , 1992,p38.

⁽²⁾ - المرجع السابق: Guilbert Durand ، ص 38.

لا يرتبط المخيال بالواقع إلا بقدر ما ينفصل عنه، وبهذا نسجل رموز المخيال انتماءها المفارق إلى الذاتي (الطبيعة البيونفسية والثقافية) والموضوعي (الوسط لطبيعي والاجتماعي) وإلى عالم الداخل والخارج في آن واحد انتماء مزدوج لا يمكن تفكيكه أو تجاهله.

يستعيد بورغس Jean Burgos تعريف المخيال الذي وضعه دورند ويربط بنية وبين الكتابة في مقارنته الشعرية للمخيال حيث بموضع الكتابة في قلب المخيال مركزا بذلك على طابعها الإبداعي، في هذا المنظور يكف النص عن كونه عالما مغلقا ومرهونا بالبنى اللغوية ، لأنه لا يأخذ معناه إلا في ارتباطه بالعالمين اللذين يتبادلان التفاعل فيه ويتخذ منهما مادة له، فالكتابة تنبثق من المخيال قبل أن تشق طريقها إلى البنى اللغوية. على غرار ما فعله دورند، ينطلق بورغس من نقد التصورات الاختزالية للصورة وهي عنده من نفس طبيعة الرمز أن لم تكن مرادفة له، إذ لا يمكن فهم الصورة الشعرية إذ ارتأينا إلى هذه التصورات التي تجعل منها مجرد نسخ نفسية عن موضوعات خارجية⁽¹⁾، أو كلمات معزولة أو صور بلاغية أو حتى تمثيلات مفهومة فالصورة ظاهرة تخيلية ليس لها مع إدراك الموضوعات سوى علاقات غير مباشرة، فهي نتيجة النشاط التخيلي الالوعي وهي تتلي للوعي لطريقة مفاجأة وفورية على شكل رؤيا أو هلوسة، دون أن يكون لها طابع المرضي للهلوسة ففي الهلوسة يستبدل الواقع بالخيال لكن في الصورة يبقى الإدراك قائما بأن الأمر يتعلق بالخيال ، حيث تدركها الذات على أنها صورة داخلية بعبارة أخرى تنتج الصورة عن النشاط التخيلي الالوعي لكن علاقاتها مع عالم الإدراك تظل موجودة دون أن تفقد استقلاليتها عن الواقع الحسي، وهذا ما يوضحه الشكل التالي:



(1)

المخيال وتجلياته في الخطاب الروائي الجزائري:

إن المخيال فضاء رمزي تتفاعل فيه الصور والرموز والأساطير والأنماط التي تتجسد في أشكال التعبير التراثية عموماً، وفي الثقافة الشعبية على وجه التحديد، بوصفها أقدر على بلورة وإنتاج وتفعيل ثمرات الخيال الشعبي ببطورية وبجدوره الضاربة في اللاوعي عموماً وللجزائريين، فإلى أي مدى ارتبطت الرواية الجزائرية بالثقافة الشعبية لكتابها⁽²⁾.

الرواية الجزائرية ذات التعبير العربي نشأت في ظروف أقل توتراً ولكنها هجست بالتميز منذ أعمالها الأولى بقول واسيني الأعرج "في زمن وجيز إذا ما قيس ببلدان عربية أخرى لم تتعرض مقوماتها إلى الفتك والتدمير والتشويه، استطاعت الرواية الجزائرية أن تستدرك نقصاً كميًا وقيميًا ولغويًا وتجاوزت الرواية كل النقائص التي لحقت بها وهزت كيائها، بل أصبحت جزءاً من الرواية العربية بامتياز من خلال أهم تجاربها، هل مرد ذلك فقط المواهب

(1) - المرجع السابق: Guilbert Durand، ص 74.

(2) - إسماعيل حاجم: الصراع الحضاري في الرواية الفرنكفونية المغاربية، دار الأمل، تيزي وزو، 2007، ص 08.

الفردية للمبدعين الجزائريين أم هناك إرثا خفيا يأتي من بعيد بدأ يتحول مع الزمن إلى مادة مخيلة تنسج في اللاوعي الكاتب كيانا روائيا متميزا.⁽¹⁾

حققت الرواية الجزائرية نقلة نوعية في متخيلها السردى عندما انكبت على هذا المخيال بالتحديد تقول الدكتورة الباحثة آمنة بلعلي في كتابها للمتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل إلى المختلف: "لقد كانت أهم آليات الانفتاح هو الخروج من حالة الإشباع التي وصلت إليها الرواية الجزائرية خلال عقدين من الزمن إلى أنواع من الحوارية التي تشكل الانعطاف النوعي نحو إيجاد متخيل سردي متميز والتي نجد بوادرها في "الحوات والقصر" عند الطاهر وطار و "الجازية والدرأويش" لابن هدوقة وبعد لك عند واسيني الأعرج في نوار اللوز"⁽²⁾ إن المخيال كما ذكر سابقا يعبر عن فعاليته من خلال إنتاج صور ورموز وبالتالي فإن انتقال المخيال إلى المتخيل لا يتم إلا عبر هذه الصور والرموز التي تستلزم استقلاليتها وامتلائها بالمعنى وطابعها الشعري الذي ينحو بها نحو قضاء الرمزي ذو خواص مكانية إن صح التعبير، تتأتى على الزمانية والخطية وبهذا نكون قد استبعدنا من تحليلاتنا المدخل السيميائي التناسي لنقصر اهتمامنا على تجليات المخيال في صور الشعرية ، فباختصار للمخيال هو مجموعة التصورات المشتركة لدى جماعة معينة اتجاه جماعة أخرى، ذلك أن كل مجتمع منظم بلغة خاصة ومحيطه الخاص ينتج مكانة خاصة⁽³⁾.

⁽¹⁾ - واسيني الأعرج، مجمع لنصوص الغائبة، انطولوجيا الرواية الجزائرية التأسيسية ، التأصيل الروائي ، القضاء الجزائري أكتوبر

، 2007، ص 06.

⁽²⁾ - آمنة بلعلي: المتخيل في الرواية الجزائرية ، من المتماثل إلى المختلف، دار الأمل، تيزي وزو، 2006، ص 77.

⁽³⁾ - المرجع السابق: آمنة بلعلي، ص 77

الفصل الأول

حضور الآخر في الرواية الجزائرية

العناصر

► تناول الآخر في الرواية الجزائرية

➤ صورة المرأة الأجنبية في الرواية الجزائرية

تناول الآخر في الرواية الجزائرية:

نظرا إلى الصدام التاريخي الذي حدث على مدى (132) مائة اثنين وثلاثين سنة بين فرنسا الاستعمارية وبين الجزائر المقاومة، صدام يصادفه الباحث والمهتم والقارئ كقدر لا مفر من مواجهة، كتابات رافقت وواكبت عمليات الاحتلال وصغته وصورته كتابات سردية خاصة صورت ذلك الذي يطلق عليه الآخر أي العنصر الأوروبي الوافد المستوطن الذي امتلك الأرض والهوية الأنا مجردة إياه من مواطنته، لا بد من إبراز حجم المقاومة شعبها لأشكال المسخ والاستئصال والتغريب والميز العنصري من أجل استرجاع الأرض المسلوقة.

إن الوقوف على أشكال المقاومة الغير المسلحة يستدعي تحصيل ما أتيج من شعر فصيح وشعبي وقصة قصيرة ورواية مسعى ضخم هائل في النظر إلى الأنا كأثر مستمر في الذاكرة من خلال السرد الروائي، فإنها لا بد أن تكون علاقة بالحرية وبالحق الإنساني واسترجاع السيادة يستوجب وبرغم صعوبة المسعى تحديد صورة الأنا في مقابل الآخر، رصد طبيعة فعل المقاومة للآخر المسيطر المستأصل للكابح لتطور شخصية الجزائري خارج إطار التمثل الاستعماري ثقافة ولغة فالأمر يتطلب الرجوع إلى الرواية والقصة الأدبيتين.

الآخر المسيطر الذي سرق منا جزءا معتبرا من ذاكرتنا التي تشكلت تحت سيطرته، الكتابة السرديّة التي

اعتمدت على الخيال وحده في حضور الآخر فهي الأكثر والأعظم تأثيرا.

الأنا والآخر لهما أثر بارز وساهما بشكل كبير في تشكيل صور وتمثلات كل من الذات والآخر وهما سياق

الثورة والشهداء المرتبطين بالفترة الاستعمارية وما بعدها، وسياق الأربعينيات الذي يحيل على التسعينيات القرن الماضي للعشرية السوداء.

الأول يتأسس على صراع مزدوج من جهة مع الآخر البعيد الغريب، عدو خارجي المستعمر له هوية مستقلة

(إبان الاستعمار والتمرد عليه مواجهته واستمرار الحقد⁽¹⁾ عليه بعد الاستعمار)، ومن جهة أخرى مع الآخر

القريب الذي يشارك الذات الوطن والهوية لكنه منفرد بخيرات الثورة وامتيازاتها وإن كان أحيانا حركيا خائنا زمن الثورة.

الثاني الذي يشكل تصاعدا في الهوية الجماعية والذي أشاع الرعب في صفوف المواطنين ، بمن فيهم الكتاب

والمتقنين، الذين طالتهم المطاردة والقتل والاعتقال ، فكان الكاتب هو أول متضرر من هذا الوضع الجديد

فحاول بعض الكتاب إعادة انتاجه وتمثله انطلاقا من درجة تفاعلهم.⁽²⁾

وهو الذي يفسر التباين الجمالي والفني بين الأعمال الروائية التي عنيت به.

وللاقتراب من هذا المنطلق نجد مساهمة لبعض الروائيين الذين أبرزوا وتناولوا الآخر.

تمثل الهجرة ← الهجرة وأسبابها لم تكن اختيارا مبنيا على الإرادة الحرة وإنما كانت اضطرارية بسبب إكراهات

خارجية⁽³⁾ ففي رواية حلم على ضفاف للروائية حسبية موساوي نجد حسان البطل هاجر إلى بعد ما لم يعد

(1) - كتابات الأنا والآخر حول المقاومة الجزائرية (1830-1962) مخبر الدراسات اللغوية 2001.

(2) - عمر مهيبيل ، من النسق إلى الذات ، قراءات في الفكر العربي المعاصر، منشورات الاختلاف ، الجزائر، 2001، ص

(3) - المرجع السابق ، ص 79.

له أي مكانة اعتبارية بين ذويه ووسط قريته بعد أن تم قتل حبيبته يوم زفافها دفاعا عن شرفها الذي أراد تمزيقه أحد طغاة الاستعمار الفرنسي فأحس بالمهانة والجنون ولم يقدر على البقاء، فكانت الهجرة ملاذا للاختفاء من العار الذي سببه له موقفه الجبان ذاك.⁽¹⁾

أما في رواية عصافير النهر للروائي محمد زيتلي نجد البطل السبتي نغد وصية أبيه الشهيد قال: بأن غربتي لم تكن هروبا بل تكفل بأمي وإخواني.⁽²⁾

أما في رواية كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك للروائي عمار لخص البطل كان بدوره مضطرا بعد أن قتل الإرهابيون خطيبته بهجة التي تتقاطع مع اسم الجزائر المجروحة، فجرح مرتين في الحبيبة والوطن وتبعها لملايسات وظرف الهجرة لدى الأبطال الثلاثة تباينت أشكال العلاقة مع الوطن في الروايات الثلاث ، فهناك من رأي بأن الهجرة حلا مؤقتا للأزمة ثم راودته فكرة العودة، وهناك من حسم مع الماضي ويرى أن لا سبيل للعودة.⁽³⁾ نجد في رواية حلم على ضفاف النهر حسيبة موساوي صورتين متناقضتين للآخر وهما العدو (المستعمر) والإنسان (المكتشف بعد معايشة) الصورة الأولى تمثلت في المستعمر والماضي وعدو والهوية في الحاضر من خلال شخصية اليهودي الذي لوث هوية نواره مستغلا نبهما والصورة الثانية تمثلت في الآخر الإنسان من خلال زوجته حسان ماري الحاقدة على المستعمر والمتعاطفة مع الحركات التحريرية.

عالجت هذه الرواية مشكلة الهوية، الهجرة، المنفى، الاغتراب منذ البداية هناك تأكيد على حضور الآخر، الآخر الذي يخالف الذات العقيدة والثقافة، الآخر هو المستعمر، العلاقة محكومة بالتصادم والمواجهة من

(1) - حسيبة موساوي، حلم على ضفاف ، مديرية الثقافة ، سطيف، الجزائر، 2003، ص 110.

(2) - محمد زيتلي، عصافير النهر الكبير، منشورات المكتبة الوطنية الجزائرية، 2007، ص 75.

(3) - عمار لخص، كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك ، الدار العربية للعلوم، بيروت، منشورات الاختلاف ، الجزائر،

خلال نظرة مسبقة للفرنسي ، علاقة محكومة بالتاريخ والماضي الثقيل⁽¹⁾ وتمثلت روائيا في نظرة الساردة أحلام لأفراد عائلة عمها وهي نظرة محكومة بالإشفاق على حالهم الناتج عن تمسكها بهويتها الضيقة التي تعتبرها الأحسن والأفضل ، وذلك لأنها في البداية كانت تمتلك نظرة حاملة عن الهوية، حيث تتعرض للأخر بالتساؤل والمراجعة بحسب المستجدات وإكراه الواقع تقول أحلام عن امرأة وأخيرا ها هو شيء منا من عمقنا، أهو نابع من نفس كريمة ، أم هو موساتي لها: فرنسية رافقتها في القطار داخل العربة جعلها رحيمة هكذا... كان يخيل لي من خلال حديثي مع أبي ودراستي للتاريخ الجزائري والمستعمر الغاشم فرنسا إنهم يحقدون علينا ويكرهوننا... ولا يتمنون للجزائر السلام... هل أخطأ أبي والتاريخ؟ أم تغيروا؟ أحسست بشيء... أنني أشفق عليها كنت أتمنى أن تشاركني العقيدة وتلتزم ديانتنا... فحرام لهذا الجمال أن تبتلعه جهنم... قد يمكن نسيان التاريخ وتجاوزه إذا تخلت عن عقيدتها واعتنقت الإسلام.⁽²⁾

نرى تراجع أحلام عن نظرتها الحاقدة على الآخر المبنية على التاريخ من خلال ما فعل الشخص وتعامله تقول عن زوجة عمها: ربما معاملتها لعمي حسان جعلتني أغير النظرة الحاقدة لها وجميع أقرانها. لكن حاجز العقيدة يحول دون الاقتراب منه الأمر، الذي حفزها على الاستفسار عن هوية بنات عمها كيف هن بنات عمي اللواتي لا أعرفهن أبدا؟ كيف اللواتي رأين النور في فرنسا من أم فرنسية تقول: يفكرون؟ أهن حاقات كالفرنسيات أم حاملات مثلنا؟ أم هجينات بين بين هناك مواجهة بين أحلام وزوجة عمها من خلال النطق باسمها اهلام بدل أحلام ، كمؤشر على غربة فمن أحلام أصبحت أهلام، رحل إسمي بعيدا عن

(1) - رواية حلم على ضفاف النهر الكبير لحسيبة موساوي ، ص 33.

(2) - رواية ذاكرة الجسد لأحلام المستغامي، ص 10.

هويتي ، اغتالت الضفاف بعضا عبر التحريف الذي وقع له مما يؤدي إلى سيطرة الشعور بالغربة في البداية على أحلام تقول : مرة أحس أني غريبة وسط أهلي.⁽¹⁾

أما رواية عصافير النهر لمحمد زيتلي قدم صورتين للآخر وهما: الآخر العدو من خلال المظهرين الأول عدو مستعمر والثاني الحاضر المتشفي والمنتقد للآنا والمستفز لها والآخر المنتمي إلى الهوية المنفردة بخيرات ما بعد الثورة، الاختلاف الثقافي في الحضارة والعقيدة والهوية ، الآخر البعيد الفرنسي من خلال النظر إليه باعتباره عدوا تلتصق به الأنا بالشورور والأنام، نظرة محملة.

يقول السارد: وجدت أهلي تنازعوا فيما بينهم وفرقت بينهم الأناية وأعمت بصيرتهم المصلحة الخاصة، وتقاتلوا كالذئاب قادت هذه التحولات الصادمة السبتي إلى إعادة النظر في تصوراته السابقة لثنائية الأنا والآخر كما كان يتصورها في البداية فيتوقف⁽²⁾ بشكل جلي وواضح على الشرخ والتصدع والتشوه الذي يعيشه الأنا الجمعي، فيصبح جزءا من الأنا هو مصدر الأنام والشورور بعد خيبة أمل في زمن ما بعد الاستقلال ، التحول من استغلال فرنسا إلى استغلال الإخوان، التفاوت الطبقي الذي حدث بعد الاستقلال الذي يعكس تصدع الهوية.

يعود السبتي ليجد نفسه أمام مهمة وهي قتل الحركي والانتقام منه وتخليص الأنا من الآخر من التصدعات التي لحقتها، وإعادة تحقيق الاستقلال مجددا ، الاستقلال الذي لم يتحقق بعد، والذي حدث هو الانتقال من مستعمر آخر مخالف للهوية إلى مستعمر يشارك الذات الهوية لتدعو الرواية إلى ضرورة مواجهته حتى تصفى الهوية وتتلقى من الشوائب من خلال انتقام السبتي من الرجل الخائن ومطاردته.

(1) - ذاكرة الجسد ، لأحلام المستغامي ، ص 15-17-19.

(2) - رواية عصافير النهر الكبير لمحمد زيتلي، ص 13.

قدمت لنا رواية عصفير النهر وعي البطل واكتشافه لتصدع الهوية وتشوهدا، فلم يعد الآخر هو البعيد العدو

المستعمر وإنما أصبح جزء من الأنا يستغلها وينفرد بخيرات البلاد.⁽¹⁾

هكذا نجد التفاوت في تصور الهوية والآخر في روايات الثلاث، ويجب الإشارة إلى أن هذه الأوعية لا تعبر عن

مراحل فكرية تعكس تطور الوعي بالهوية وإنما أوعية مترامنة محكوم بأمرين:

الأول: كل تصور محكوم بسياسة وملتبس به، فالاستعمار ولد تمايزا بين الأنا والآخر الذي كان عدوا ، ما بعد

الثورة ، فلم يعد الآخر هو الغريب والبعيد، وإنما أصبح جزء من الأنا (المستغل ، المنفرد بالخيرات والامتيازات)

وفي زمن الإرهاب أصبح الآخر جزءا من الذات هو من يمارس التقييل والأنا هي موضوع التقييل الأمر الذي

سيعكس تصدع مفهوم الهوية الذي يتطلب المراجعة ، شأنه شأن كل المفاهيم المرتبطة به.

والثاني يعكس تفاوت الوعي العربي ففي الوقت الذي يعلن فيه انتمائه لموجة فكرية معاصرة يكون الآخر ما

يزال متشبثا بما تخلى عنه الأنا.⁽²⁾

حضور الآخر في الرواية الجزائرية يمكننا تتبعه في رواية نوار اللوز لواسيني الأعرج ، يمثل الآخر جزءا من الذات

فهو ضروري لاكتشافها إذ أن تصور الذات لا ينفصل عن تصور الآخر، إذ يتوسط الذات الجماعية سواء

كان توسطه ظاهرا أو مضمرا داخل المجتمع المضمون الاجتماعي الأكثر تحديدا.⁽³⁾

الآخر العدو وصورته شائعة الاعتقاد والنمطية المجردة من صفات الإنسانية ، حيث أن أول ما يوحى في مفهوم

العدو هو العنف ففي رواية نوار اللوز نجد الصورة العدائية لصيقة وحاضرة بفتة معينة مثلها أولاد لاليجو

(1) - رواية عصفير النهر الكبير، ص 55-79.

(2) - بول ريكور- الذات عينها كآخر ترجمة وتقديم جورج زيناقي، المنظمة العربية للترجمة، توزيع ، مركز الدراسات الوحدة

العربية، بيروت، 2005، ص 7.

(3) - الطاهر لبيب صورة الآخر، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، 1999، ص 21.

السبائبي، النمسي، ياسين صورة الآخر بين الشخصيات الروائية ثنائيات الاختلاف على مختلف مستوياتها التي وجدت عمقا في النص الروائي العربي المعاصر أين يمثل الآخر جزءا من الذات ، تصور الذات لا ينفصل عن تصور الآخر في ظل صراع جدلي، الاختلاف ، التفتح، الانغلاق ، جدلية الجذب والتنافر والاستهزاء ورغبته في الاستحواذ عليه (الأنا) والصراع معه.

تعالج هذه الرواية مأساة متأصلة في عمق الهوية العربية من سوء تسيير وزعماءها وحكامها وغلبتهم على مصالح العباد إذا ما يزال للعمامة يرزحون تحت قيد العبودية ، فمن عبودية الرق إلى عبودية الاستعمار إلى عبودية المصلحة، فتلك المأساة متجدرة منذ سالف الزمان تدعمها ثنائية القوة، الضعف، ولا حل غير الحرب، إذ يرى واسيني الأعرج أنه منذ أن وجدنا على هذه الأرض إلى يومنا هذا، والسيوف لغتنا في حل مشاكلنا المعقدة إذ نجد في الرواية صالح بن عامر الزوفري رمز الأنا العربية المثقلة بالهمم الغربية والحزن حتى في عقر دارها إذ لم تلبث هذه الأنا تبحث لها عن وجود بصراعها مع الآخر سواء أكان هذا الآخر ذاته المثقلة بهم الوحدة والغربة أو واقعه المزري وفقرة مع أولاد لاليجو...
ففي هذه الرواية تتحدد لثلاث مستويات:

المستوى النفسي انطلاق صالح بن عامر الزوفري على ذاته بولوجه في غيبوبة يستنكر ماضيه ومآثر بني

هلال.⁽¹⁾ انفتاحه على الآخر – أو بالأحرى للأخرى – بلجوهه إلى المرأة طمعا في الامتداد

المستوى العقلاني ← تحدي الآخر، ورحلة فرض الوجود بتمرده على السبائبي برفضه إغراءاته ، إذ أعزاه هذا الأخير بالريح السريع من خلال تهريب الأغنام لكنه رفض واختار مهنة الموت علي بيع كبرياءه لسليل للقياد. استمرت رحلاته بل تغريته إلا أن آخرها كانت اعترافا منه بهزيمة أمام الآخر القريب (أولاد لاليجو) ، إذ أقر بصريح العبارة أن صراعه مع الآخر نهاية حتمية وحيدة هي الموت (هكذا نحن دائما من لم يسقط في الخلاء

⁽¹⁾ - رواية نور اللوز ، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت 1982، ص 5.

مات في قفر السجون) ، فاعتزم الترحال إلى الآخر البعيد، لم يستطع تحمل الآخر (أولاد لاليجو) بوصفه عنصرا خطيرا، وفي الوقت ذاته كانت رحلة إلى الغرب تحديا للآخر ومع ذلك كان مآله السجن ، إذ ظلت الانهزامية نموذجا علق بالأنا العربية في صراعها مع الآخر.⁽¹⁾

صورة المرأة الأجنبية في الرواية الجزائرية:

الروائيون الجزائريون تعرضوا للمرأة الأجنبية ونخص بالذكر الفرنسية منها وهذا نظرا للبعد التاريخي، إذ أن المرأة الفرنسية، المتحدث عنها ما هي إلا تلك التي انتقلت إلى الإقامة في الجزائر، نستثني من ذلك رواية المرفوضون التي تدور أحداثها في المهجر وأجزاء من بعض الروايات الأخرى كرواية ما لا تدروه الرياح لمحمد عرعار العالي، وغالبا ما يطلق على المرأة الفرنسية بالاسم الرومية من أبرز مميزات العلاقات المتفتحة مع الآخرين، والخيانة الزوجية، فالفرنسية لا تجد أي مانع في إقامة علاقات جنسية مع الجزائريين، وكذلك هؤلاء الجزائريين لا يرفضون هذه العلاقة بل يتحمسون لها ويرجع الأدباء هذا إلى دافع نفسي وكان بهذه العلاقة ينتقمون من الفرنسيين. إذ نجد واسيني الأعرج يقول على لسان بطله صالح بن عامر الزوفري ، وهو يحاور ابن رومل (فحل مثل أبيك، عفريت، ضاحك كل الألوان ، الإفريقيات، الألمان ، الفرنسيات ، والصراحة كان يعشق الفرنسيات لغرض في نفسه نام معهن حتى طاحت صحته).⁽²⁾

إن مصدر اللذة في الاتصال الجنسي سببه الأول هو الاستعمار فهو الحل الوحيد للانتقام منه نظرا لوحشيته فالنظرة الكريهة هاته للفرنسية بالخصوص تنطبق على عامة الناس وعادة ما يذم شخص فيقال عنه: إنه ابن الرومية ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على الاشمئزاز من هذه الدخيلة الأجنبية.

(1)- نفس المرجع، ص 6-7.

(2)- الأعرج واسيني، نوار اللوز: نقلا عن صورة المرأة في الرواية الجزائرية، ص 79.

لكن هذا لا يدل على أن الجزائريين برمتهم ينظرون هذه النظرة بل هناك فئة أخرى تنظر إلى الأجنبية نظرة احترام وتقدير الالتحاق بالجيل أثناء الثورة فبات مع سيلين التي طلبت منه الحديث عن أمه، فقد أقامت هذه الفتاة علاقة مع البطل متحدية أسرتها ، إذا كانت من عائلة إقطاعية ثرية ، وفي يوم أين كان البطل متواجدا معها مزقت سيلين بطانيتها التي حملها من مناطق المقاومة العسكرية، وحين تمزيقها لها قام بطردها وبالتالي اتسعت الهوة بينهما، إن البطانية جزء من الهوية الثورية التاريخية وتمزيقها يصبح البطل مفضوحا، أما سيلين تريد تقديم البديل ، فهي تمارس تأثيرها عليه من الداخل عن طريق التواصل الجنسي لكن تبقى معه في صفها فقط أما النصف الاخر غير واضح.⁽¹⁾

كما نجد أيضا في رواية ذاكرة الجسد لأحلام المستغامي كاترين المرأة الفرنسية الشابة وخالد الرسام فهمه هو الفن وغرفته لم تكن سوى مكان الرسم والنوم وقضاء لحظات مع كاترين بغرض ممارسة الجنس⁽²⁾، فالمرأة الأوروبية شقراء زرقاء العينين لها جاذبية جنسية فائقة واشتهاء لا ينتهي للرجال مما يجعلها دائما مستسلمة لأي رجل يرغب في الاتصال بها وينطبق هذا على الرجل الشرقي بحسب وصف هؤلاء الروائيين ، يؤثر في المرأة الأوروبية شعره أسود وعينيه سوداويتين له تأثير شبه سحري، ولهذا هي دائما تحت تصرفه وأكثر من هذا أنها هي التي تبادر لإقامة العلاقة ، حيث تخاطبه من تلقاء نفسها وتطلب منه ملاطفتها قصد الانغماس في شهواتها بلا مبالاة ، لهذا نجدها تستسلم لأول رجل تلتقيه، هكذا كانت النساء الأوروبيات في الروايات العربية لدرجة أن أي قارئ لم يعرف الحياة في أوروبا تتبلور لديه فكرة أن كل امرأة أوروبية تميل إلى الاستهتار والعهارة.⁽³⁾

(1) - المرجع السابق - رواية - فوضى الأشياء - ص 75.

(2) - ذاكرة الجسد - رواية لأحلام مستغامي، ص 95.

(3) - صورة المرأة الأوروبية في الأدب العربي المعاصر - روترواد فيلانديت - ملحق 2 بالصور ولوجيا، ص 398.

السؤال الذي يطرح نفسه هو لماذا تصور المرأة الأوروبية على هذا الوجه في روايات عديدة؟ إذ هناك جواب يخطر لأول وهلة لمن لم يتمكن من التعرف على مكان أوروبا عن قرب، وهو أن المرأة الفرنسية هكذا، لكن قد يكون سوء فهم لمعنى تحرر المرأة الفرنسية ، ففي حقيقته لا يعني تمادي المرأة في إشباع شهواتها حينما يحلو لها بل هو مسؤولياتها بالحاجة إلى تجنب الاختلاط بالرجال، وثانيها هو عدم اتفاق مفهوم المرأة في أوروبا مع ذلك في الوطن العربي التقليدي بل فحسب المقاييس السائدة في أوروبا المعاصرة لا تخالف أي علاقة رجل بامرأة قبل الزواج بشرط أن يصل التعارف عند حدود ما نستطيع هي أن تتحمل تبعاته من ناحية أخلاقية واجتماعية.⁽¹⁾

والاختلاف في العادات والتقاليد الاجتماعية ليست السبب الوحيد في تكوين الصورة غير المشرفة ففي رواية ذاكرة الجسد ومن خلال بطلها خالد حول المرأة الفرنسية ، فإن هذه الصورة تعتمد إلى حد بعيد عن نوع الآمال والتوقعات التي بطلبها الرجل العربي في محاولة الاتصال بالمرأة الأوروبية لكن تلك التي ينطلق منها و الآمال تخلق نظرا لظروف التي أحاطت بالرجل العربي في مجتمعه، والمرأة كما نراها في الكثير من الروايات أو المسرحيات فإن البطل كثيرا ما يستوقف إلى اللذات التي تمنى نفسه بتنفيذها في معاشره الأوروبيات حتى قبل أن تطأ قدماه أرض أوروبا ، ويتخيل نفسه وهو في طريقه إليها كيف سيروي عطشه إلى الجنس الآخر بواسطة المرأة الأوروبية ، فنجد البطل يلاحقها بإلحاح دون الاهتمام بما يميزها خلقيا عن غيرها من النساء ويعاملها كأنثى فقط، وليس من الصعب أن نفهم لماذا تكون المرأة الأوروبية التي ينجح معها البطل بهذا التصرف تكون مستهتره وخليعة في العادة، فإن المرأة الجادة التي تحترم نفسها وتعرف مسؤولياتها لا تستجيب أبدا لطلبات الرجل.⁽²⁾

(1) - المرجع السابق: صورة المرأة الأوروبية في الأدب العربي المعاصر، ص 398.

(2) - ذاكرة الجسد، أحلام مستغانمي، ص 109.

هذه الفئة ترى في فرنسا رمز للرقى والتقدم هؤلاء يمثلهم البشر في رواياته ما لا تدروه الرياح ، حيث يفتن البطل وينبهر بامرأتين فرنسيتين هما فرنسواز زوجة المعمر الفرنسي في قرية البشير الأصلية وفرنسواز الثانية في شوارع باريس فقد ذاب في شخصيتها على حساب المرأة الجزائرية رمز للتخلف لديه.

هناك مبدعين آخرين أقاموا علاقات جنسية مع النساء الأجنبية هؤلاء يؤمنون بالإيديولوجية الثورية المناهضة للاستعمار أينما كان، نجدها عند شخصيات الطاهر وطار والواسيني الأعرج هاته الشخصيات تقيم علاقات مختلفة مع نساء أجنبيات في غاية الجمال، فزيدان مثلا بطل رواية اللاز يتحدث عن علاقاته بسوزان هذه المرأة الأجنبية ساعدته على الانتقال من مرحلة الأمية إلى مرحلة الثقافة ، فقد شجعتة على الدراسة والتعلم ودخل الجامعة الشعبية حيث نجده يقول عن نفسه: إلى أن وجدت نفسي ذات يوم أدرس الاقتصاد السياسي في الجامعة الشعبية وببساطة أيضا وجدتني في حلقة ماركسية ثم في خلية شيوعية إلى جانبها ، وقبل أن التخرج انتخبت المدرسة إشارات الحزب ودرست مبادئ القيادة الجهوية ثم الإقليمية وليلة احتفالنا بتخرجي من الجامعة الشعبية همست سوزان في أذني سترحل إلى موسكو لدخول إلى مدرسة القيادة .⁽¹⁾

يعود هذا التطور والرقى إلى المرأة الأجنبية للمرشدة والمعلمة على حساب المرأة المحلية التي كانت غائبة وقت الشدة، وهكذا نعتبر الأجنبية أكثر إيجابية نجد رواية أخرى بعنوان فوضى الأشياء لبوجدرة التي كانت بطلتها سيلين المرأة الفرنسية ، فالبطل أراد بتتبع مثل هذا الأسلوب ، ومن ثمة لا ينجح البطل مع امرأة لها ذهنيات البنات الساقطات متوهما أن هذه هي المرأة الأوروبية المتحررة⁽²⁾ ، وهناك سبب آخر قد يكون له تأثير في غلبة نوع المرأة المستهتره للخليعة على الأوروبيين فكاترين المرأة التي أقام معها خالدا علاقة سرية نجدها منافية للمبادئ الأخلاقية في المجتمع العربي ، وعلى ما يتضح أن حاجة الرجل العربي إلى مطاردة المرأة الأوروبية تعود

(1) - الطاهر وطار ، رواية اللاز ، ص 206.

(2) - رشيد بوجدرة، رواية فوضى الأشياء ، ص 75.

إلى حالة الحرمان وما ينجم عنه من كبت لديه، عاش في مجتمع تمنعه فيه التقاليد من الالتقاء بفتاة أو حتى التحدث معها حتى وإن كان مقصده يجيد عن أي غرض جنسي لأن هذا الالتقاء في المجتمع العربي ممنوع، فهذا الكبت الناجم عن الحرمان أدى بالاكتئاب في رأي هؤلاء الروائيين العرب بالتركيز على الجانب الجسدي في علاقة بين الرجل والمرأة فهو قد عانى جوعاً للجنس الآخر مما دفعه إلى محاولة إشباعه متى سنحت له الفرصة مع المرأة الأوروبية.

وما يلفت النظر في هذه الرواية أن البطل خالد يرى في مظهر المرأة الفرنسية لا في سلوكها وما يدل على استهتارها، فهو معن كل نظرة على مظهرها الخارجي الذي وصفته الروائية وصفا فيه إسهاب. وهنا يحق لنا السؤال: أهذا هو تصرف رجل لا يتطلع إلا إلى هذه أهداف سامية؟ ويزداد الميل إلى وضع اللوم على المرأة الأوروبية على وجه العموم والمرأة الفرنسية على وجه الخصوص فأحلام مستغانمي تؤيد النظرية القائلة مادية الغرب وروحانية الشرق.⁽¹⁾

كما نجد في الروايات الجزائرية المرأة الأجنبية الغير الفرنسية ألا وهي المرأة اليهودية، لكن الإشارة إليها كانت عابرة مثل ما جاء عن مرزاق بقطاش و رشيد بوجدره فمرزاق بقطاش يتحدث عن مراد الذي يكره المعلمة اليهودية. "أبصر تلك اليهودية القميئة فوق المصطبة وهي توجه للتلاميذ نظرات حاقدة، عيناها كانتا سوداوين تحتفیان وراء نظرات سميكة كان هناك بعض الزغب فوق شفثيها ليس هذا عجيبا فهي يهودية ومراد يعرف ما ينطوي عليه هذا الاسم."⁽²⁾

وصف مراد المرأة اليهودية بأبشع الصفات الجسدية فهي قميئة ترتدي نظارات سميكة، فوق شفثيها زغب، إنها يهودية هذا الاسم له دلالة عند مراد.

(1) - ذاكرة الجسد - أحلام مستغانمي - ص 111.

(2) - الدكتور صالح مفقودة، المرأة في الرواية الجزائرية، ط1، 2003، ص 224، بتصرف.

الفصل الثاني

تحديات صورة المرأة في الرواية الجزائرية

العناصر

➤ المرأة و الدين

➤ المرأة و المجتمع

➤ المرأة الجزائرية و المرأة الأجنبية

1- المرأة و الدين:

إن دراسة أصول الشريعة الإسلامية تبرز تلك المكانة العالية التي تحتلها المرأة في هذا الدين والتي عملت ما

في وسعها للمحافظة عليها. فأصبح للمرأة دور جد هام بعد ما كانت شيئاً سلبياً قبل ظهور الإسلام.

وبظهوره تعددت الدراسات حول أهمية تواجدها في المجتمع و التي استخلصت أن مكانة المرأة لها بدور ضاربة في أصول الشريعة وأحكامها وان طرح مشكل عدم المساواة بين الرجل والمرأة يكون حول وضعها قبل ظهور الإسلام والأوضاع الاقتصادية والاجتماعية التي ظهرت نتيجة احتكاك العرب بالأعاجم إضافة إلى الظروف القاسية التي تحببت فيها الأمة العربية أثناء الاستعمار والتخلف الحضاري التي كانت تعيشه، والتي انعكست على حالة المرأة في المجتمع فوضعت ما أقرته الشريعة الإسلامية جانبا، نظرا لسيطرة القوي على الضعيف.

وقد تبلورت شخصية المرأة العربية بشكل جديد في الشريعة مكنتها من رفع رأسها ولسير مع أخيها الرجل جنبا إلى جنب إذ أصبح لها تفوق واجبات مماثلة له تدافع عنها وتطالب بها وتعود نظرة الدين للمرأة بهذه الطريقة لاعتبارها الإنسان الموجود يحمل بداخله روح سامية مثل الرجل.⁽¹⁾

فالرجل والمرأة سواء لا فرق بينهما يقول عزوجل في كتابه الحكيم

" هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۗ فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ ۗ

فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٨٩﴾" (2)

فالعدالة الاجتماعية عملت على تحقيق المساواة بين الزوجين، فالزوجة تعادل الزوج، والإسلام أبرز الواجبات التي تحتم على الزوجة القيام بها تجاه الزوج مع المحافظة على حقوقها والعكس صحيح، فديننا الحنيف حارب كل ما كان للرجل من طغيان وجبروت ، فأصبح مكلفا ومسؤولا بعدما كان مستبدا وطاغيا ، وبهذا حافظ على كرامة وكبرياء المرأة بضمائه لحقوقها ، كما نجد الدين الإسلامي نفى فكرة أن المرأة أقل شأنًا من الرجل وعلى هذا حارب فكرة الوأد حربا ضروسا من باب الضمانات لروح الإنسانية الخالصة التي يتميز بها البشر

(1) - بوعلوي ياسين- نبيل الأدب والايديولوجية سوريا، دار الحوار للنشر وللتوزيع ط2 1985، ص 388-390.

(2) - القرآن الكريم : سورة الأعراف ، الآية 189.

والتي تدعو إلى عدم قتل النفس إذ يقول عزوجل: " قُلْ تَعَالَوْا أَنزَلْنَا مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۗ
 أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۗ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۗ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ ۗ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۗ
 وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۗ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۗ
 ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ " (1).

وعدم قتل الأولاد مخافة الفقر، وغالبا ما كان وأد البنات يتم لهذا الغرض يقول تعالى
 "وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ۗ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۗ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا" ﴿٣١﴾ سورة
 الإسراء، الآية 31..(2)

وبالدعوة إلى الحنية والعدل في حق البنات يقول تعالى: وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ { 8 } بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ
 {9} " (3)

فقد أصبح للمرأة تصرفات مدنية واقتصادية وشخصية حفظها لها الإسلام مثلها مثل الرجل، فأصبح هناك
 مساواة في الناحية الدينية والروحية ووهبها كامل الحرية والتصرف في أموالها في قوله تعالى: "
 وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ ۗ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا كَتَسَبُوا ۗ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا
 كَتَسَبْنَ ۗ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾" (4)

كما كان لها نفس نصيب الرجل في المسؤولية والأجر والثواب والعمل يقول تعالى: " وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ
 إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۗ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ۗ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَّا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ

(1) - القرآن الكريم: سورة الأنعام، الآية 151.

(2) - القرآن الكريم: سورة الإسراء، الآية 31.

(3) - القرآن الكريم: سورة التكاوير، الآية 8-9.

(4) - القرآن الكريم: سورة النساء، الآية 32.

غَيْرَ مُسَافِحِينَ ۖ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۗ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاصَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (24) (1).

قد كان للزواج اهتمام في الإسلام و ذلك للمحافظة على شرف المرأة وعفتها بإبعادها عن الانحراف والجري وراء النزوات، كما حافظ على حقوقها في حالة الطلاق بينها وبين الرجل.

وقد حظيت المرأة حظا وافرا في الحديث الشريف، فقد كانت أما وزوجة ومجاهدة في سبيل الله، وكان حق الوالدة للطاعة أوفر من حق الرجل، اذ روى البخاري أن رجلا جاء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فقال: "يا رسول الله من أحق الناس يحسن صحبتي؟"، قال: أمك قال: ثم من؟ قال أمك ثم من؟ قال: أمك ثم من؟ قال: أمك ثم من؟ قال: ثم أبوك⁽²⁾.

أما بخصوص تعدد الزوجات فقد أحله الله عز وجل على الرجل، ولكن هذا ليس ظلما للمرأة لقدرة الله، ولكن في حالات تستوجب ذلك كزيادة عدد النساء على الرجل وعدم الإنجاب أو المرض ويكون ذلك بضمانات أولها الحفاظ على كرامة المرأة بمشورتها ورضاها ل يتم ذلك.

كما أن للمرأة الحق في اختيار زوجها المستقبلي لتبني معه حياتها بمحض إرادتها كما أوجب القرآن الكريم عدم المساس بحقوقها المالية من طرف زوجها إلا برضي منها، وعن طيب نفس.

قال تعالى: " وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ۗ فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا " (4) (3)

(1) - القرآن الكريم: سورة النساء، الآية 24.

(2) - محمد سفوح الأخرص، المرأة والتحويلات الاقتصادية والاجتماعية، ط1، /، /، 1987، لدار طلاس للدراسات والترجمة ص 37. 189.

(3) - القرآن الكريم: سورة النساء، الآية 04.

أما تدبير أمور الأسرة فيكون مشتركا بين الطرفين لقوله الرسول الكريم: "كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته،

فالرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيته"⁽¹⁾

وبهذا فالإسلام رفع قدر المرأة إلى أعلى المراتب وأبرز دورها الهام في المجتمع وأعطاهما مكانتها اللائقة جنبا إلى

جنب الرجل في مسار الحياة فوضع المرأة هو وضع الرجل ، فالمرأة مثل الرجل واثقة بالله وسالمة للرأي وحسن

في التدبير وقادرة على تحمل المشقة والصعاب حالها حال الرجل تماما.

أما في الأدب فقد تعرضت الكثير من الروايات العربية لقضية المرأة ومدى علاقتها الوثيقة بالدين وتأثيره عليها

وتأثيرها به على غيرها فمن الروايات (قنديل أم هاشم) (الحي اللاتيني) و (موسم للهجرة إلى الشمال) (عرس

للبلع)⁽²⁾.

والطاهر وطار اختار - الحاج كيان- رجل الدين لكي يظهر ضعفه أمام الأحداث وهذا ليبرهن لنا عن عجز

الثقافة الدينية وعمقها وعدم قدرتها على الصمود والمواجهة⁽³⁾.

ويمكننا القول مع مأمون فريز جرار، إن تشويه صورة المسلم في الرواية العربية خاصة رجل الدين يعود إلى

إحدى هذين الأمرين إما للتشويه المتعمد وهذا نجد عند من يجملون فكرا مضادا للفكر الإسلامي أو التشويه

الناج عن التقليد لصورة رجل الدين في القصص الغربية⁽⁴⁾.

(1) - عبد الرحمن الصابونجي

(2) - المرجع السابق، ص 38-39.

(3) - مرزاق هداية الشخصية الروائية عند الطاهر وطار - رسالة ماجستير مخطوطة، جامعة الجزائر 1986-1987، ص

.174

(4) - مأمون فريز جرار: خصائص القصة الإسلامية عن المرأة في الرواية الجزائرية، ص 267.

أما في الروايات الجزائرية نلمح المرأة متماسكة بدينها بشكل واضح من بين تلك الروايات نجد الأم في رواية فوضى الأشياء لرشيد بوجدره.

إن الأم باعتبارها امرأة تعتبر محورا هام في الحدث الروائي عند بوجدره رغم غيابها عن الساحة ، فالحوار بين الراوي وأخيه خيرا، وقد كانت أعمال الأم تنحصر في الإنجاب والحيطة والطبخ، لكن هذه المرأة لم تكتف بهذه الأشياء فقط بل أنها من الناحية الفكرية تحب التصوف تعجب بإلحاح وابن العربي ورابعة العدوية وغيرهم من المتصوفين

ركز الكاتب بصورة خاصة عن رابعة العدوية التي تحفظ لام روائعها في الحب الإلهي ويورد الكاتب الأبيات التي قالتها رابعة المتصوفة التي يقول عنها بوجدره تلك الفتية المولودة في مدينة البصرة 801 المتوفاة في مدينة القدس 881 بعدما كانت من أشهر غواني ومغنيات عصرها فتصوفت وهي في سن الأربعين وعاشت بقية عمرها منزوية منعزلة⁽¹⁾ ومعتزلة متقشفة.

أخذت الأم رابعة العدوية نموذجا للحياة وفكرت في تخليص دينها بالزهد والتصوف وتمسكها برابعة كان في تمثلها لشعرها في الحب الإلهي هذا إن دل على شيء إنما يدل على النزعة التصوفية لدى الأم. أضافت إلى الحب الذات حبا آخر هو الحب لذات الإلهية أصبح الحب لديها ممزوجا ومضاعفا. قد أحدث هذا اللحن دويا في العالم الروحاني الإسلامي، شغل أئمة التصوف قرونا وأحقابا، فقد تفتحت أمامهم آفاق وبزغت أنوار وتفجرت ينابيع.⁽²⁾

2- المرأة والمجتمع:

(1) - رشيد بوجدره فوضى الأشياء عند المرأة في الرواية الجزائرية، ص 267.

(2) - المرجع السابق، ص 267.

عاشت الأمة العربية عامة والجزائر خاصة مرحلة من التخلف والانحطاط في جميع الميادين سواء السياسية الاقتصادية أو الاجتماعية، وهذا ما انعكس على المرأة، لكن هذا لا ينفي مشاركتها في بناء وتأسيس المجتمع باعتبارها سمة ضرورية في التراث العربي الإسلامي.

فالبطولات التي عرفت بها لا ينفىها التاريخ إلا بعض الأخطاء غير القصدية الناتجة عن التخلف والجهل، وقد شيعت عدة أخبار حولها بأنها لا تتعدى مجرد عنصر جامد لا نفعية منه بعيدة كل بعد عما يحدث في المجتمع وعقلها غارق في الجهل ليس لها أي أثر وتأثير، وهي منذ ميلادها تعيش سيطرة الرجل سواء كانت زوجة أو أما، مستعملة حواسه ولا حواسها وعملها ينحصر في الإنجاب والقيام بالأعمال المنزلية في مجتمع يسوده التخلف والجهل، لكن التاريخ والواقع المعاش يثبتان عكس هذا الأمر، فهي برزت القوة إلى جانب أخيها الرجل في جميع الميادين سواء كان سياسي اجتماعي، صحي، اقتصادي أو حتى نضالي.

أما في مطلع القرن العشرين فقد تزايدت الدعوات إلى تحريرها لا يرتبط بتعليمها فحسب بل يتعد أكثر من ذلك، ارتقاءها وتقدمها من الوضع المنحط والمتدني وتنشئتها بأسلوب عملي حضاري فحصلها على قسط من المعارف والمعلومات العلمية والأدبية وتشغيلها بالمبادئ الدينية والأخلاقية يجعلوها فعالة في المجتمع لكي لا تعيش عالة على أي احد وحتى لا تعيش متطفلة.

قضية المرأة مرت بثلاث مراحل أبرزتها الآراء الفكرية التي دعت إلى النهوض بحالها وواقعها في المجتمع فالمرحلة الأولى تمثلت في تربيتها والثانية في الدعوة إلى تحريرها وأخيرا الدعوة إلى إصلاح حالها.⁽¹⁾ وبحلول النصف الثاني

من القرن العشرين ظهرت هناك دراسات حول اتجاهات المرأة نحو منحنى جديد والمتمثل في ربط واقعها بالأسرة من جهة وبالجانب الاقتصادي والاجتماعي من جهة أخرى أصبح لها وجود بعدما كان منعما وأصبحت تقارن بنظيراتها الأوروبيات، تغيرت وضعيتها في الأسرة بسبب الوضع الاجتماعي خروجها للعمل

(1) - سليم ناصر بركات : مفهوم الحرية الفكر العربية حديث، مؤسسة الوحدة للصحافة والنشر والطباعة، ص 341.

بتطور المجتمعات بالإضافة إلى صيانة الأسرة من الانحلال والفوضى نتيجة الجهل وانعدام الثقة وسوء الإدراك⁽¹⁾.

ومن بين هذه الاتجاهات نجد اتجاهات الكلاسيكيون الذين ينظرون إلى الكتابات التي تقدس المرأة وتنادي بتحريرها من قيود المجتمع القاسية على أنها تستحق الحرق والإبادة ، فاحذ الرومانتيكي ينجح بالحب عاليا باحثا عن أكثر الزوايا ليمارس وحدته ويبحث في أجواء العفة والطهارة عن امرأة مثالية مكونة من طينة خاصة لا يصيبها الضعف الإنساني.

هناك من ينظر للمرأة على أنها شيطان الذي يظل الناس ويغويهم ويرغمهم على ارتكاب الخطيئة المرفوضة اجتماعيا فلجأ الكتاب إلى وصف غدرها ومكرها على أنها هي وإبليس من سلالة واحدة.⁽²⁾

من بين الروائيون الجزائريون الذين جسدوا وضع المرأة وصوروا حالتها في المجتمع نجد أحلام مستغانمي في روايتها فوضى الحواس تناولت المرأة في المجتمع الجزائري ، حيث تطرقت إلى إجلال صورة الظلم والاضطهاد و التعسف التي عاشتها ، تناولت الروائية دراسات المرأة من النظرة الأنتروبولوجية إلى وضعها في المجتمع الجزائري، المقهورة والمحرومة من الحقوق ، فكان بذلك حق تعدد الزوجات وأبعادها عن الحياة العامة.

كل ما صورته الروائية في روايتها العلاقة الإنسانية لشخصيتها رؤية قاصرة على فهم طبيعة العلائق البشرية فهي ليست في النهاية إلا انعكاس العلاقات السائدة في المجتمع.⁽³⁾

كما نجد تشير إلى تضائل دورها وسقوط قيمتها في المجتمع الممثلة في الرواية من خلال شخصية فريدة التي قضت عمرها كله جارية في البيت الزوجية فلم تكن الحرية سوى إمكانية النظر إلى الآخرين فالمرأة لا تكتمل

(1) - المرجع السابق، ص 341.

(2) - العيد يمني الدلالة الاجتماعية لحركة الأدب الرومانطيقي - دار الفارابي - بيروت ، / 1979، ص 22.

(3) - فوضى الحواس - رواية - لأحلام المستغانمي ، ص 145.

أنوثتها إلا إذا تزوجت لأنها ستظل ناقصة ومعرضة لارتكاب المعاصي الأخلاقية مما يجعلنا نطرح العديد من

الأسئلة:

- ترى أين هي المرأة المناضلة التي تستميت من اجل قضية سامية؟
- أين هي المرأة التي تفكر فيما هو أكثر من مسألة ذاتية مطلقة؟
- وأين هيبة المرأة التي تبنى جسرا بين الذاتي والموضوعي؟

إن النظرة إلى حريتها لم تخرج عن هذه القياسات الأخلاقية فهي أكثر من زينة توضع بين أربعة جدران كأني

غرض ثمين من أغراض البيت ممنوعة من التنفس خارج البوتقة المسطرة لها. (1)

3- المرأة الجزائرية والمرأة الأجنبية:

المرأة الجزائرية:

إن الحديث عن المرأة في تاريخها الطويل والمتنوع ، وتطرقنا إلى أوضاع المرأة العربية بصفة عامة لن يغنيننا عن

التطرق لوضع المرأة في الجزائر ذلك أنه لكل قطر عربي ظروفه ومتغيراته التي على أساسها ترسم العلاقات بين

الأفراد.

تقوم أديب بامية بتقسيم تاريخ المرأة الجزائرية في العصر الحديث إلى ثلاث مراحل هي:

1- الفترة الاستعمارية:

كانت المرأة مضطهدة كانت تعامل اشبه ما تكون بالسلعة، وقد يكون لفترة الاستعمار تلك أثرها السلبي

على معاملة الرجال للنساء ، ذلك أن الاستعمار الفرنسي عرف بقسوته على الأهالي وهؤلاء ينقلون المعاملة

نفسها إلى بيوتهم ويحاولون أن يثبتوا وجودهم من خلال أسرهم وعائلاتهم وحتى الذين كانوا يهاجرون إلى

(1) - فوضى الحواس - الرواية - لأحلام مستغانمي ، ص 145.

فرنسا ويحتكون بالمجتمع الغربي يتصرفون بنفس السلوك المتحكم في المرأة والطبيعة العامة للمجتمع الجزائري الذي كان يتميز إلى حد بعيد بالمحافظة على النظام الأسري ، حيث إن كبار السن لا يسمحون حتى بأقل درجة من التحرر من قبل الرجال العائدين من المهجر⁽¹⁾ فالطبيعة المجتمعية تقتضي تحكّم الرجل في أمور الأسرة وسيطرته على المرأة كما أن حفاظ الرجل على شرفه جعله يبالغ في التشديد على المرأة خاصة مع وجود الأجانب الغاشمين ، يضاف إلى ذلك أن الفترة السابقة الاستعمار ، لم تكن لتعطي الحرية كاملة للمرأة ، فإن كل الظروف كانت ضد الأنثى.

وضعية المرأة أثناء الثورة:

كانت الثورة الجزائرية المسلحة التي انطلقت عام 1954م أشبه ما تكون بالنفير العام، حيث هب الشعب للكفاح بكل ما يملك وبما يستطيع، يتساوى في ذلك الذكور والإناث. وقد أثبتت المرأة جدارتها في الكفاح بمساعدتها للرجال، قد برهنت الحرب الفترة الذهنية في تاريخ المرأة الجزائرية، إذ أنه في أعقاب اندلاع الثورة ظهرت تغيرات مفاجئة شاملة وبعيدة المدى في وضعية المرأة. لقد كانت الحرب فرصة لتعبّر المرأة عن نفسها بصورة مضاعفة⁽²⁾ تثبت قوتها للمستعمر وللرجل في الوقت نفسه وبذلك فإن الثورة الجزائرية كانت ثورة في عقول الرجال فقد تقبلوا كفاح المرأة في هذا المجال وأبرزت الثورة المسلحة صورة

(1) - مفقودة صالح: المرأة في الرواية الجزائرية، دار النشر للطباعة والتوزيع ، ط2، 2009، ص 18-19.

(2) - سيبرور طه عبد الباقي الرابعة العدوية والحياة الروحية في الإسلام، دار الفكر لعربي ، بيروت ، ط3، 1975.

المرأة المحاربة والمناضلة والمشاركة ، فان حضورها هذا دليل بارز على التحول الاجتماعي الذي وقع في البلاد وفرض مساهمة كل مواطن في محاربة الاستعمار⁽¹⁾.

الأدوار المتعددة التي قامت بها النساء خلال الثورة أحدثت خلخلة في العلاقة الاجتماعية فارتفعت لأول مرة مكانة المرأة ونسجت حول بطولاتها القصص والحكايات التي سيتغذى بها الأدب القصصي فيما بعد.

فترة ما بعد الاستقلال

فرح الشعب بهذا النصر المبين وظن كل فرد أنه سيصل إلى ما يصبو إليه ، لكن الواقع كان مريرا إلى درجة كبيرة، فمرحلة البناء والتشييد كانت صعوبتها لا تقل عن صعوبة مرحلة الكفاح المسلح وبالنسبة للنساء ، فقد وجدن أنفسهن يعدن قهرا، حيث صار ينظر إليهن تلك النظرة الاستعلائية وكان السنين السبعة لم يكن إلا استثناء للقاعدة ونشازا في مأساة طويلة تبدأ منذ ما قبل الاحتلال الفرنسي لتستمر عبر الزمن تصف الكاتبة جوليت منس هذه الفاجعة التي أصابت المرأة الجزائرية قائلة: أخيرا جاء الاستقلال جويلية 1962 وأعيدت النساء إلى بيوتهن بوجه عام اعتقدت أن نضالها يمنحها حقوقا سرعان ما خاب أملها⁽²⁾

أصبحت النساء إذن يخيبه أمل بعد الاستقلال لأن المجتمع عاد إلى صورته الطبيعية الأصلية التي تنظر إلى المرأة على أنها قاصرة لكن المرأة التي أثبتت جدارتها أثناء الثورة ما كان لها أن تستلم بسهولة فقد تأثرت بالموقف التحرري، وظلت تطالب بحقوقها في ميدان الشغل والتعليم.

وعلى الرغم من أن المرأة الجزائرية قد حققت بعض مطالبها من خلال القوانين ، حيث أكد كل من برنامج طرابلس وميثاق الجزائر على مساواة المرأة بالرجل ، إلا أن هذه المساواة لم تتحقق كاملة فقد بقيت المرأة وسيلة للمتعة أو للخدمة قبل كل شيء.

(1) - أبو قاسم سعد الله: الحركة الوطنية 1900-1930، دار الأدب ، بيروت ، 1969، ص 25.

(2) - مفقودة صالح: المرأة في الرواية الجزائرية، دار النشر والطباعة والتوزيع ، ط2، 2009، ص 18-19.

ويبدو أن السلطة الحاكمة لم تذهب بعيدا في ميدان تحرير المرأة ومساندتها، وذلك لجملة من الأسباب يمكن إجمالها في مايلي:

1- الصعوبات التي كانت تعاني منها البلاد وخاصة المالية، جعلت البلاد لا تهتم إلا بالمشكلات

الاقتصادية واضحة حقوق المرأة وواجباتها ضمن الأمور الداخلية النشيطة التي يمكن التفرغ لها فيما بعد.

2- الجيل القديم من النساء أنفسهم لم يكن ينتقدن بسهولة أمام تيار التحرر والمساواة بل قد أثرن سلبا على بناتهن.

وبذلك بقيت المرأة في وضعية أقل بكثير من الطموحات التي كانت قد رسمتها ، وقد كان هذا الوضع موضوعا لبعض الكتابات التي نذكر منها على سبيل المثال كتابين لفضيلة مرابط هما: المرأة الجزائرية والجزائريات وقد تحدثت عن الذين يستخدمون الدين ضد المرأة في حين أن الدين في حقيقته يعد ثورة التحرير وتتمنى هذه الكاتبة أن لو يشهد الدين الإسلامي عملية تجديد وتطوير.

كما تعلق الأدبية عايدة ، أديبة بامية على هذين الكتابين ، وتعتبر الكتاب الثاني أكثر عملية حيث تقدم صاحبة الكتاب إحصاءات ومراجع هامة وقد ورد⁽¹⁾ في تعليقها على الكتابين ما يلي:

إن قراءة كل من الكتابين يمكن أن تضر بالقارئ الذي لم يزر الجزائر ذلك أن مرابط تقدم صورة منحازة ومشوهة عن مجتمعها.

ذلك أن القارئ يتولد لديه انطباع خاصة بعد قراءة الكتاب الأول أنه ينذر أن ترى امرأة في مكتب أو في شوارع الجزائر وعلى الخصوص امرأة غير محجبة لكن الواقع يخالف هذه النظرة تماما، حيث أن عدد من النساء يلعبن دورا حيويا في حياة العامة في الجزائر.

(1) - سلامة موسى للمرأة ليست لعبة للرجل الشركة الوطنية للنشر والتوزيع جوان 1956، ص 205.

إن مرابط قد استقت كثيرا من موضوعاتها من الرسائل التي كانت تصلها إلى الصحيفة **Algérie**

République (الجزائرية الجمهورية) أي أنها كانت تتعامل مع عينات من المجتمع تعرضن للقهر والإخلال

ولعله لذلك أتت صورة المرأة عندها قائمة، ويلاحظ القارئ هذه الروح المتشائمة في الكتابات النسوية على المرأة

وكمثال على ذلك نشير إلى ما ورد في كتاب المرأة الجزائرية ، حيث ترى الباحثة هيلين فان فيلد بأن تحرير المرأة

الجزائرية بالعمل المهني أسطورة ، ومن خلال إحصائيات مقدمة توازن بين سنة 1966 و 1977م وتخلص

إلى القول بأن نسبة النساء العاملات بلغت 03,7% من مجموع النساء في كلتا السنتين رغم ما يقال من

تطور وإلى هذا الرأي عديد من الكاتبات اللاتي يبدون محللن الوضع الجزائري بمنظور غربي وثقافة فرنسية

ولذلك فهن يعتبرن التربية التقليدية تربية تعوق التطور ، وهنا نجد أن معالجة قضية المرأة في الجزائر تحيل إلى

قصة أخرى ثقافية، فكل طرف ينظر إلى الموضوع بمنظور مخالف للأخر وبالتالي فإن قضية المرأة في الجزائر لا

تكون بصدد معالجة قضية جنس معين وعلاقته بالرجل، بل تكون إضافة إلى ذلك أمام تيارين متناقضين

يجعلان من المرأة موضوعا للجدل، وأحيانا يستغلانها للوصول إلى أهداف ومصالح خاصة.

المرأة الأجنبية:

الاهتمام بالأدب المقارن يؤكد بالضرورة زيادة الاهتمام بصورة أخرى في الأدب القومية المختلفة، وهذا راجع

إلى دلالات الكثيرة التي تحملها تلك الصورة فهي مصدر جد هام يقدم معلومات ومعارف شتى عن الشعب

أو مجتمع أجنبي.

ونظرا لزيادة ارتباط العلاقات بين الشعوب ازدادت حاجة إلى هذا النوع من الدراسات لا لشيء إلا أنها

تساهم في تعزيز العلاقات التفاهم والتواصل بين الأمم الأخرى.

وقد اهتم دارسوا هذا النوع بالمرأة باعتبارها العنصر الأكثر أهمية وفاعلية في أي مجتمع ففي الأدب العربي ساهم

العديد من الدراسيين في وضع صورة المرأة الأجنبية في النتاج الروائي ونخص بالذكر الكاتب سوري شكيب

الجابري هذا الأخير هو أول كاتب السوري الذي أسهم في تقديم نتاج أدبي لصورة الآخر وهذا الآخر كان ممثلاً في المرأة الأوروبية عامة والألمانية على الخصوص .

وقد ركز الجابري في كتاباته على فن الرواية وهذا لإدراكه الجيد لأهميتها وشدة تأثيرها.

خصص الرواية عن غيرها من الأجناس الأدبية الأخرى لقربها من عقول وقلوب ومقدرتها الكبيرة على التأثير فيهم، أضف أنها تستطيع حمل أفكار وتصورات الكاتب ويبدو أن الجابري أدرك لأهمية الكبرى الغرب ومدة تأثيره في القارئ الغربي فوظفه في أعماله الروائية مكتسباً بذلك معرفة حقيقية بالغرب بلغاته وبحضاراته وبشخصياته ، كذلك نظيراً لإقامته مدة في الغرب وإطلاعه على حضارتها المتطورة ومقارنته بحضارته العربية المتأخرة.⁽¹⁾

إن كانت الدراسات الصورولوجية هدفها تصحيح التشويه الذي يلحق الصورة الأجنبية أو الآخر أدب قومي ما ومحاولة بيان معالم صورته الصحيحة ومن هنا يمكن أن نطرح مجموعة أسئلة ما مدى واقعية تلك الصورة واختلاف النوعي بين واقع المرأة في الدول المتقدمة وبين ما هي عليه الحال في المجتمعات المتأخرة فالمرأة في المجتمع الأوربي تملك نفسها فهي رهن إشاراتها فحسدها ملكها الخاص تتصرف فيه وفق ميولها وقناعاتها وتتحمل ما ينجم عن سلوكها من مسؤولية فهي تتمتع بمقدار كبير من الحرية التي تسهل لها التعبير عن مشاعرها بعيداً عن مراقبة المؤسسة الدينية والاجتماعية.

وقد كان الاختلاف في العادات والتقاليد وبعض المفاهيم بين العالمين تظهر منذ المراحل الأولى بدا فيها الاحتكاك بين الشرق والغرب فهم خاطئ قدمه العرب في وصفه للمرأة الأجنبية ومن ابرز هؤلاء ما قدمته الدكتورة والباحثة الألمانية فيلاندرت ركزت على وجود عدة أسباب اختلاف العادات والتقاليد اختلاف لباس

(1) - عبده عبود ، الأدب المقارن ، مدخل نظري ودراسات تطبيقية ، مديرية لكتب والمطبوعات الجامعية ، مطبعة المدينة ،

المرأة وزيتها وذهب أكثر المؤلفين العرب إلى اهتمام بمظهرها الخارجي والحكم عليها من خلاله وأول ما يشير

الاهتمام في هذا الصدد يرى في منظر المرأة الأجنبية لا في سلوكها ما يدل على استهتارها.

كما أن الكتاب حاولوا جعل المرأة الأجنبية رمز الغرب بينما الرجل الشرقي يرمز إلى روحانية الشرق ومن هذا

المنطلق يستخدمون المرأة الأجنبية لتمثيل مادية الغرب، فالروحانية والمادية تصوير يصعب إثباته كصفة ملازمة

لأحد العالمين ويبقى مجرد تصور افتراضي فحسب.⁽¹⁾

الفصل الثالث

دراسة تطبيقية لصورة المرأة الأجنبية في الرواية الجزائرية دراسة في المخيال

العناصر

➤ ملخص الرواية

➤ صورة المرأة الأجنبية في ثلاثية أحلام مستغانمي

➤ علاقة الشخصية ببقية الشخصيات

➤ علاقة الشخصية بالأماكن

⁽¹⁾ - المرجع السابق، ص 356-404.

1. ملخص الرواية :

تبدأ الرواية بخالد وما حدث يدخل الأمور في بعضها إلى حد ما وهذا في بداية حياته فقد أمه وزواج أبيه و فراغ حياته من كل معنى لم يبقى سوى الوطن هو الأكبر دائما كان يتمنى الموت كان يبحث عنه لذلك التحق بمعسكرات التدريب ومما ساعده في ذلك حبه الشديد لأستاذه ومدرسه و قدوته سي الطاهر و في معسكرات التدريب تغيرت حياته شعر أن الثورة عوضته ما فقدته وأنها أعطته دورا في الدفاع عن شيء أحببه ، كان في تلك الفترة سعيدا راضيا لكن هذه الثورة في إحدى معاركها قلبت حياته رأسا على عقب حين أصيب برصاصتين في ذراعه اليسرى و لم يكن هناك سبيل إلا ببتريده، و في تونس بدأ خالد حياة جديدة و حياة لا هي حياة ولا موت هي ساحة للألم فقط ، إنسان بلا أم و لا أب و لا ذراع و لا وطن وبعد أن شفي ذهب لبيت سي الطاهر كما أوصاه بتسجيل إبنته في دار البلدية أعطها اسم أحلام كما أراد والديها لتبدأ في ذلك اليوم علاقته بأحلام وبعد ذلك بأشهر يموت سي الطاهر قبل استقلال الجزائر بقليل.

في الفصل الثاني يتضح أنه رسام و قد بدأ الرسم بعد فقدته لذراعه نصحه بذلك الطبيب المعالج ، فرسم وأول ما رسمه قنطرة الحبال في مدينته قسنطينة و هي جسر معلق ربما مثل حالته المعلقة بين الحياة و الموت ومسمى تلك اللوحة حنين تلك اللوحة التي وقفت أحلام عندها طويلا و هي تزور معرضه لأول مرة فتشير

فضوله يتعرف عليها و يحاول هو أن يشير فضولها حتى يضمن أنه سيرها مرة أخرى وكان ذلك بإعطاءه موعداً لتبدأ علاقة بما على وجه آخر ، و في غمرة انتظاره لأحلام تظهر كاترين الفتاة الفرنسية التي جمعها به حب الفن كان بينهما اختلافات في كل شيء و كان بينهما نمط عاطفي لا مكان فيه الغيرة و لا الامتلاك .

و في علاقته مع كاترين مغالطات تثير العجب تبدأ يوم أن عرفها في مرسوم الكلية و هي ترسم عارية فلم يرسم إلا وجهها بحجة أنه عقدي وذو رواسب قديمة وأنه يكره أن يقتسم امرأة عارية مع آخرين حتى في حلبة رسم لكنه يسمح لنفسه بالاعتذار لها على عدة مع أنه مقتنع أنها امرأة لا تناسبه و لا يمكنها أن تمب رجلا ما يلزمه من آمان هو يقول أن لها حسنات منها الحرية وعدم الالتزام بشيء و أنه سعيد عندما تأتي و ينسى أنها مرت من هنا عندما ترحل منطق عجيب و تناقض ظاهر و مع كل هذا يقضي الوقت مع أخرى هربا من الاستمتاع بانتظار من يحب و يظهر جانب شخصية خالد من خلال استقباله المفاجئ لسي الشريف و سي مصطفى سي شريف أخو سي الطاهر و سي مصطفى صديق قديم و رفيق كفاح ونظال و إصابة ، لكنها فضلا أن يستفيدا من كفاحها و يأخذا منه قيما رفض هو ذلك كان يجبها و يخاف عليهما أتيا لأن سي مصطفى أراد شراء إحدى لوحات خالد لكنه رفض و مع ذلك فقد قابلهما بمزاح

يبدأ الفصل الثالث بمجئ أحلام متأخرة عن مواعدها يوما كاملا و تتوالى بعد ذلك زيارتها كانت تريد أن تتعرف على أبيها من خلاله تعمقت بينهما العلاقة ، أحبها خالد ، كانت لابنته التي لم يرزقها فأحب التمسك بها و الأم التي مضت منذ وقت طويل فأثر أن لا يضيعها وكان الوطن الذي لا يبقى على حال الذي تركه وراءه وحمله في ضميره فأحب أن يراه يأتي إليه ، وأحلام هي الحبيبة التي تأتي متأخرة فتأخذ أكثر مما تأخذه كان لها تأثير كبير عليه من الناحية الدينية فقد صلى و صام و لم يكن قد فعل ذلك من سنين أصبحت أحلام كل النساء عنده فأحبها بكل عاطفة لديه هي الجزائرية التلبس في باريس سوارا يحمل ذاكرته أمه ووطنه و كل هزائمه و انتصاراته هي الكاتبة المثقفة التي تهتم بالرسم وهو الفنان المبدع التي تشعر أنهما يريا

لأشياء بإحساس واحد أحبها اذن شعر بأنه خان سي الطاهر قائده و رفيقه و صديق عمره يدخل خالد في صراع أترها أحبته قبله . من ذلك الرجل في الرواية ؟ أهو موجود فعلا أم لا هو رجل من خيال على ورق ؟ يسألها فتراوغ فيطمئن نفسه إن ليس هناك ما يستحق الاعتراف هي فقط تريد أن تخبره أنها لم تعد الطفلة التي عرفها من ربع قرن وإلا لماذا هي متعلقة به تطارده بالأسئلة و تستدرجه على لوحته (حنين) لكنه يعدل عن ذلك و يفضل أن يرسم لوحة جديدة لقنطرة الجبال يسجل عليها ما يشغله من تفاصيل و يبدأ بالرسم هل لأنه لا يريد أن يصل لشيء فقط يريد ان يعيش في التفاصيل وهل للإنسان في عمره ووضعه ورغبة في الوصول لشيء لم يكن خالد يرسم كان يحب .

الفصل الرابع : يظهر زياد الشاعر الفلسطيني المناضل الذي ترك كل شيء و انخرط في السلك الذي كان للسبب في أن يترك خالد وظيفته كمسؤول عن النشر و المطبوعات و أن يسافر إلى فرنسا بعدها تعمقت العلاقة بينهما و أصبح صديق خالد الوحيد الذي أحبته بعمق كان زياد اللسان الذي يقول الشعر وخالد اليد التي ترسم تظهر لتحية أحلام وهكذا تصور خالد كانت عقدة تلح عليه التقوا ثلاثهم ، ويأتي سفره لغرناطة لإقامة معرضه لمدة 10 أيام ، ترك زياد في بيته وسافر و القلق لا يدعه لقد اثر ذلك القلق في شخصيته و عاد يلوم نفسه على خيانتته لسي الطاهر وتوقع أن يخون زياد كما كان هو سي الطاهر قضى 10 أيام في غرناطة لا يفكر لا بأمر أحلام و زياد بعد ذلك تأتي دعوة سي الشريف و خالد لتدخله في جو الفرح و يقرر أن يأخذ له اللوحة هدية لتبقى معلقة بجدران بيت تسكنه أحلام سعيدة باستقبال سي الشريف.

الفصل الخامس : دخول خالد في مرحلة من الألم حين يعرف أن أحلام ستتزوج وممن؟ و أين ؟ في قسنطينة ؟ وانه مدعو بل و شاهد و سيقف مع عمها مكان أبيها!! من أين تأتي هذه المصائب ؟ وكيف سيتعامل خالد مع هذا الحدث التي لم يتوقعه ؟ كان يكره لأولئك الذين يتاجرون بالثروة ودماء الشهداء وأصبح بعد ذلك يحقد عليهم عاش خيبة أمل كبيرة ربما كان عمها صاحب تلك للصفقة.

عاد إلى قسنطينة ليودع بها أحلام التي كانت تمثلها وتتصل به هي الأخرى لتخبره بأنه أحبته وتتمنى حضوره
عاد شريط حياته ليعرض البداية تذكر أمه وأباه أعاد الماضي مر بالجسور و البيوت و الشوارع مر أسبوع و تأتي
زفاف أحلام برفض أخوها الناصر الحضور يسعده ذلك لأنه وجد من يعترض على هذا الزواج ليس
وذهب بكامل أناقته يبادر سي الشريف و سيلم على العريس محاولا انشغال بالحضور لكي لا يفكر فيها
لكنها أمامه تتوقف التفاصيل يغرق في أفكاره ينتهي الزفاف ببراءة أحلام وزياد الذي طالما شك فيه يتذكر
صديقه بحزن ويعود في الغد لحضور غداء للعروسين تحت إلحاح سي الشريف يسلم على أحلام يهنئها بزواج و
يهدبها لوحة حنين بدون أي تعليق وكأنها ليست أحلام التي قلبت حياته من أين جاء بهذا الصبر و تلك القوة
يغادر بعدها باريس ومرت 6 سنوات بلا لقاء يحاول أن ينساها أخذ يهتم بأخيه حسان يطمئن على أخباره
وأبناءه الستة ينشغل به لكن حسان يموت برصاصة طائشة.
يعطي خالد لوحاته لكاترين و يعترف لها بأنه يكره الجسور كراهيته لكل شيء له طرفان ووجهتان و احتمالات
و ضدان كان يريد حرقها لكن لم تكن لديه الشجاعة لذلك كيف يعطي لوحات بلدته لفتاة فرنسية بحجة أنه
يطمئن عليها معها اعتقد عودة فرنسا للجزائر آمن لها من تبقى في يد الجزائريين ؟ عاد إلى الجزائر ليعترف على
جثة أخيه التي تنتظره ليدفنها قرب من أحب و ليتولى مسؤولية أبناء أخيه.

2. صورة المرأة الأجنبية في الرواية الجزائرية :¹

المراة الأجنبية	ذاكرة الجسد	فوضى الحواس	عابر سرير
	كاترين	كاترين	فرانسواز
الصفات الفيزيولوجية	<ul style="list-style-type: none"> - زرقاء العين لها جاذبية ص 95 - ذات الشعر القصير ص 95 - تضع الكثير من المساحيق على وجهها ص 95 - اهتمامها بمظهرها الخارجي ص 95 - نحيلة الجسم و خطوط جسمها مستقيمة - مسطحة ككل النساء الأوروبيات بحكم الموضة و التحضير - سنها يقارب 40 سنة ص 95 		<ul style="list-style-type: none"> - شفتاها شاحبتان - ينسدل شعرها الأحمر على كتفيها - جميلة القوام ص 11.
الصفات النفسية	<ul style="list-style-type: none"> - تعاني العجز العاطفي ومن فائض الأنانية - باردة الامبالية 		<ul style="list-style-type: none"> - طيبة - خدومة ص 13
الصفات الذهنية	<ul style="list-style-type: none"> - ذكية - مثقفة 		<ul style="list-style-type: none"> - ذكية - مثقفة ص 13
اللباس	<ul style="list-style-type: none"> - ترتدي اللون الأصفر الدال على الغيرة الإنسانية ص 95 		<ul style="list-style-type: none"> - ترتدي معطفا أسودا ص 140
العادات	<ul style="list-style-type: none"> - تكره الظهور مع خالد في الأماكن العامة خشية رؤيتها لأحد المعارف¹ 		<ul style="list-style-type: none"> - منحرفة - شهوانية

¹ - ذاكرة الجسد لأحلام مستغامي ، ص 94 - 95 - 398 .

- عاهرة ص 201		- خليعة متحررة ص 39 - مستهتره - ميطرة في علاقتها مع الرجال	السلوكية
أساسية رئيسية	أساسية رئيسية	- أساسية رئيسية رغم انها شخصية عابرة إلا أنها تحضى بخصه أسد - حضورها قوي ص 94	دور الشخصية
	تعمل موديلاً في معهد الفنون الجميلة ص 14	طالبة بمعهد الفنون الجميلة ص 84 ²	الوظيفة

¹ - عابر سرير ، احلام مستغانمي ، ص 11 - 13 - 190 - 204.

² - ذاكرة الجسد ، نفس المرجع السابق ، ص 84 - 94.

عابر سرير	فوضى الحواس	ذاكرة الجسد	المرأة الأجنبية
أحلام	أحلام	أحلام	
		عينان واسعتان بشرتها سمراء شعرها أسود حالك طويل ص 62 شفتيها حمروتان ص 92 جسدها متعرج أنيقة محتشمة ص 90. سنها 25 سنة	الصفات الفيزيولوجية
مقهورة - مظلومة - مهضومة - عاجزة - محرومة ص 9	متأزمة - مقهورة - مهمومة - مضطهدة - عاجزة ص 25	هادئة ص 90	الصفات النفسية
ذكية مثقفة ص 9	- ذكية - مثقفة	- ذكية - مثقفة	الصفات الذهنية
ترتدي فستان ذات اللون الأسود ص 13	ترتدي اللباس ذات اللون الأسود ص 60	- ترتدي الفستان ذات اللون الأبيض لباس أخضر ص 189	اللباس

العادات السلوكية	- محافظة - خجولة ¹	قلقة - متحررة ²	منحرفة - عاهرة - خائنة - مخلصه - مستقيمة - ص 20 - 21
دور الشخصية	- أساسية - رئيسية مركزية ص 62	أساسية - رئيسية مركزية	أساسية - رئيسية مركزية ³
الوظيفة	طالبة جامعية كاتبة	كاتبة ص 12	كاتبة ص 13

¹ - ذاكرة الجسد ، نفس المرجع السابق ، ص 62/30 - 90 - 199 - 316.

² - ذاكرة الجسد ، نفس المرجع السابق ، ص 12 - 25 - 60

³ - ذاكرة الجسد ، نفس المرجع السابق ، ص 9 - 13 - 20 - 21.

الشخصية الأجنبية و علاقتها ببقية الشخصيات في ثلاثية أحلام مستغانمي :

1 شخصية أحلام و علاقتها ب :

سي الطاهر : مناضل في إحدى خلايا الكفاح المسلح ضد الاستعمار هو والد أحلام قدر لها أن تولد بعيدة عن حضنه بحكم عمله الثوري ، وان تولد بعيدة عن مدينتها ووطنها خوفا على حياة الأم و ابنيها فهو لم ير ابنته التي ترك أمها العروس التي لم يتمتع بها غير أشهر مسروقة من العمر وتركها حاملا بعث رسول (خالد) يبلغ لهما السلام و يسجلها في دار البلدية .¹

الجددة زهرة : تمثل نموذج المرأة التقليدية ، المسؤولة عن تربية أحلام و أخيها عبد الناصر هذه الشخصية تمثل النموذج المرأة التقليدية التي تقترن بالعادات و التقاليد التي تعتبر مثال الاقتداء وهو نتاج مجتمع محافظ ملتزم فهي تنتمي إلى الجيل القديم الذي لم تتح له الظروف الاستعمار فرص التعليم فهي تمثل الرسوخ و الديمومة الراضية عن نفسها تحرص على المحافظة.²

الأم : مرتبطة بابنتها أحلام بل تشفق عليها لأنها لم تنجب وهذا السبب كافي لتهم بها أكثر " أصبحت تزداد تعلقاتي و لا تكف عن زيارتي أو طلبي هاتفيا و استشارتي في كل شيء ومرافقتي إلى كل مكان".

¹ - ذاكرة الجسد ، نفس المرجع السابق ، ص 24.

² - نفس المرجع ، ص 105.

الأخ عبد الناصر : أخو أحلام متطرف إسلامي ذو كبرياء وأنفة و صلابة ، تقاسمت مع أخوها الاسم و اليتيم ، كان توأم حزنها و فرحها كانت بالنسبة إليه عائلة كلها كانت كل قناعاته و مفخرته كان لا يعترف بزوجها كان يرفض أن يأتي أحد و يسرقها منه.¹

سي الشريف : عم البطلة أحلام تدرج في السلك الدبلوماسي تقلد عدة مناصب سياسية كان بمثابة أب لها بعد وفاة والدها وهو الذي روج أحلام من أحد معارفه.²

الزوج : زوج أحلام العميد الذي اختاره لها عمها (سي شريف) وهو أحد معارفه الزوج كان بنجومه الكثيرة يصنع الصفاء و الأعاصير في سماء قسنطينة كان يمتحن تدبر الاغتيالات كانت علاقتها بزوجها علاقة فاترة لم يعرفها اهتماما ، كان يقيم عدة علاقات مع النساء (زوجي الذي لم أملكه لا لكوني اقتسمه مع أخرى لأنه ملك المسؤولية ولأن الكرسي هو قضية الوحيدة"³

فريدة : تعيش مع أحلام في بيتها لأنها أخت زوجها مطلقة ولا مأوى لها سوى بيت أخيها ساذجة في اهتماماتها علاقتها مع أحلام قليلة التعامل معها ، انشغال أحلام بخالد كانت تقضي معظم الأوقات معه.⁴

السائق عمي أحمد : رجل بسيط كان سائق أحلام كان يأخذها إلى أي مكان تود الذهاب إليه ، كما كان يتجول بها في شوارع قسنطينة أطلق عليه النار ومات أمام أحد الجسور ممسكا بمفاتيح سيارته اغتياله كان مقصودا لأنه يعمل لدى السلطة (سي شريف وزوج أحلام) .

¹ - فوضى الحواس ، رواية أحلام مستغاني ، ص 128.

² ذاكرة الجسد ، نفس المرجع السابق ، ص 57.

³ - ذاكرة الجسد ، نفس المرجع السابق ، ص 57

⁴ فوضى الحواس ، رواية ، ص 111 - 152.

خالد : علاقة حياة بخالد لم تكن حديثة العهد التقى بها في قاعة العرض بباريس أحبها سبب اللقاء بينها البحث الذاكرة بالنسبة لها (حياة) و الحفاظ على الذاكرة و استرجاعها مع إمكانية الامتداد على زمن الحاضر بوجود الحب بالنسبة له (خالد) .

العلاقة بينهما كانت قائمة على التضاد و الاختلاف في كل شيء هذا الذي زاد من شهوة اللقاء (" أنت تمثلين ثقب الذاكرة بالكلمات فقط وتتجاوز الجرح بالكذب ، ربما كان هذا سر تعلقك بي " أشبعت رغبته الجامحة في إقامة علاقة معه بالسيطرة و الامتداد لتشبع غروره فجأة تسحب منه كل شيء ليصبح كائن ضائع¹ .

زيان : صديق البطل خالد رسام ناس خالد في حبيبته أحلام و استحوذ على اهتمامها التقى بها في مطعم عرفها على بعض خالد جمعتهما الصداقة و فرقهما الموت ، زيان الذي سرقه الموت بعد مصارعتة لمرض السرطان من سرير المرض في باريس إلى سرير الموت في الجزائر² .

2 شخصية كاترين وعلاقتها ب :

بخالد : كاترين المرأة الفرنسية المتحررة تعارفهما كان أشبه باللقاء النور بالظلم علاقة الرجل العربي بالمرأة الأوروبية تمثل الهوية الضائعة بين الحضارتين فأصبحت هذه الشخصية تمثل صورة سواء مصغرة أو مكبرة الأخلاقية الاجتماعية كاترين ذات النزوة العابرة علاقتها بخالد عجز لأنه يحمل بداخله نزعة تدميرية لكونها امرأة فرنسية لذا كانت علاقتها بحكم الشكل الخارجي أي الجسد لا مكان فيه للوجدان ، وبالمقابل نجد كاترين تخجل بخالد أمام الجميع بسبب ذراعه المبتور و عروبيته ، طلبت منه أن يرسمها عارية الجسد لكنه اهتدى إلى رسم الوجه فقط مما أثار غيظها فرسم لوحة أخرى سماها " اعتذار " فالمرأة الأوروبية مثل كاترين ذات جاذبية جنسية ، فائقة الاشتهاء لا ينتهي الرجال يجعلها دائما مستسلمة لأي رجل يرغب في الاتصال

¹ - ذاكرة الجسد ، نفس المرجع السابق ، ص 26.

² - عابر سرير ، نفس المرجع السابق ، ص 102.

بها ولأكثر من ذلك أنها هي التي تبادر لإقامة العلاقة من الرجل العربي ، حيث تخاطبه من تلقاء نفسها و تطلب منه ملاطفتها قصد الإنغماس في شهواتها بلا مبالاة ، لهذا نجدها تستسلم لأول رجل تلتقيه ، كاترين المتميزة بالحرية المطلقة الخالية من كل القيود و الإكراهات و الضغوطات التي يفرضها العرف و الدين و المجتمع .

هكذا كانت النساء الأوروبيات في الروايات العربية لدرجة أن أي قارئ لم يعرف الحياة في أوروبا تتبلور لديه فكرة أن كل امرأة أوروبية تميل إلى الاستهتار و العهارة ، كان تجمعها الشهوة المشتركة وحب مشترك للفن.¹

3. شخصية فرانسواز و علاقتها ب:

زيان: التفت بزيان في معهد الفنون الجميلة تعرفت عليه في إحدى جلسات الرسم كانت تعمل موديلاً للرسم أقامت معه في بيته جمعتهما علاقة عاطفية باعتباره يعطيها متعة الحب و للمباغثة وكأنها رحلة بين الجزائر و فرنسا.

علاقة فرانسواز بزيان عابرة علاقة بين الرجل العربي و المرأة الفرنسية التي ترحب بأجساد الغرباء بسهولة.²

بخالد :

التقت بخالد بمعرض الرسم عند تجوله استوقفته لوحات معروضة تمثل جميعها جسورا مرسومة في ساعات مختلفة من النهار وقف طويلاً أمام اللوحات كانت له ألفة بصرية خلقت له فضولاً مبالغاً سأل فرانسواز التي كانت

¹ - صورة المرأة الأوروبية في الأدب العربي المعاصر ، روتوروفلانديت ملحق 2 صورولوجيا.

² - رواية عابر سرير ، نفس المرجع السابق ، ص 84.

مشرفة على تلك اللوحات لتزوده بمعلومات أكثر تواتر اللقاءات بينهما و توطدت العلاقة بينهما فأقام معها علاقة عاطفية و في بيتها.¹

علاقة الشخصيات الأجنبية بالمكان :

المعرض : أول لقاء بين أحلام و خالد المعرض الذي كان خالد يعرض فيه لوحات رسمه فأصبحت أحلام تتردد عليه من حين لآخر .²

و المعرض بالنسبة لفرانسواز كانت مشرفة على لوحات زيان.³

البيت : يعتبر البيت مكان لإقامة و الثبوت و الانتماء و الألفة إنه بيت للراحة و الطمأنينة النفسية يمارس فيه الإنسان سلطة دون تدخل أحد البيت الذي كان كذلك مكان التقاء كاترين و خالد.

وكان أيضا مكان التقاء فرانسواز بزيان و بخالد.

البيت الذي تعيش فيه أحلام مع زوجها الضابط بالرغم من شجاعته و رفاهيته وتوفره على كل متطلبات الحياة

إلا أنه كان بالنسبة لها مغلق الأبواب يدعو للقلق معتم و غريب " البيوت كالناس هناك ما تحبه من اللحظة

الأولى وهناك ما لا تحبه ولو عاشرتة و سكنته سنين و ثمة بيوت تفتح لك قلبها تفتح لك الباب و أخرى

معتمة ومغلقة على أسرارها ستبقى غريبا عنها وإن كنت صاحبها".⁴

¹ - رواية عابر سيرير ، نفس المرجع السابق ، ص 95.

² - ذاكرة الجسد ، نفس المرجع السابق ، ص 51.

³ - فوضى الحواس ، رواية أحلام مستغاني ، ص 65.

⁴ - فوضى الحواس ، رواية أحلام مستغاني ، ص 63.

المقهى : من الأمكنة التي حظيت بمكانة مناسبة في رواية فوضى الحواس المقهى كان حاضرا بمختلف تجلياته و مظاهره ، المكان يلتقي فيه اثنان أو الأكثر حيث يقول " كان مكان الالتقاء الأكثر هدوءا مما توقعت و بالرغم من ذلك دخلته بارتباك واضح".¹

الشارع : المكان الجنوني لأحلام في انطلاقتها للبحث عن صاحب المعطف " سعدت و أنا أقف على بعد شارع من بيتي مع سائق الأجرة فطلبت منه بكثير من التردد إيصالي إلى مقهى الموعد.

الشوارع ضيقة ومكتظة " لا شيء هنا يشبه شوارع قسنطينة المكثفة بالسيارات و المارة و ضجيج الحياة" الشوارع بالنسبة لأحلام حالة شعورية عن رؤية داخلية".²

المقبرة : المقبرة ذات بعد نفسي و فكري بالنسبة لأحلام يعكس حضور الماضي في نفسها مرة تجعله مكان التنفس عن الضيق الذي كان يختلج صدرها و مرة تجعله لاستحضار الذاكرة " اليوم أيضا ككل المرات التي كان يضيق بي فيها القدر وتخلني الحياة لقد استندت إليه دائما وإلى هذا القبر و قدرتي نتيجة هذا" زيارتها لقبر والدها .³

¹ - المرجع نفسه ، ص 63.

² - المرجع نفسه ، ص 63.

³ - المرجع نفسه ، ص 207.

الختام

الخاتمة :

من خلال الدراسة المتواضعة لهذا الموضوع و بما أن لكل بداية نهاية نخرج في الختام إلى جملة من النتائج :
إن الرواية شكل من الأشكال الأدبية المهيمنة على الساحة الأدبية فقد استطاعت الرواية العربية عامة و الجزائرية خاصة في أقل من قرن أن تحدث صدى واسعاً في منظومة الثقافة العربية المعاصرة حيث أصبحت الرواية ديوان العرب وفضاء لطرح الكاتب هموم الواقع المعاش ، و إن اختلفت هذه الهموم إلا أنها تبقى فضاء أدبيا احتضن المبدعين المعاصرين.

إن روايات أحلام مستغانمي نموذج معاصر للكتابة الجزائرية النسوية التي كرس كل جهودها وطاقاتها الفنية الجميلة لمعالجة فن الرواية العسير حيث أضافت إلى المكتبة الجزائرية عدداً غير قليل من الروايات الأصيلة الممتازة التي نشهد لها بتفوقها في هذا الفن وإخلاصها له ، كما استطاعت الروائية إلى حد كبير تبني عالماً روائياً تخيلياً عبرت من خلاله عن صورة المرأة الأجنبية في علاقتها بالرجل العربي ، و في هذه الروايات المرأة الأجنبية كانت عنصراً من العمل الفني تظهر في عدة مواقف.

وما يمكن القول أن هذه الروايات بلا نزاع صورة قوية من الإبداع توخت فيه أحلام مستغانمي مذهبا جديدا في الكتابة الروائية تزوج بين الواقع و التاريخ وقد عمدت إلى توظيف شخصيات إذ أوكلت لها سمات فسيولوجية و نفسية جعلها تتناسب في أفعالها و أقوالها كما أرادته الكتابة.

وما نخلص به في الأخير أن بطولة المثقف العربي تفشل في تجربته من خلال صلته بالآخر و التعبير عن الذات برسم معلمها و تشكيلها بلغة الكشف و البوح بأسرار واقع العزلة.

وصورة التي أعطيت للمرأة الأجنبية قادرة على منح الذات وما كان مقدارا لها أن تقول لا لتقول نعم.

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر و المراجع

القرآن الكريم :

1. القرآن الكريم، سورة الجاثية الآية 28.
2. القرآن الكريم: سورة النساء ، الآية 04.
3. القرآن الكريم : سورة الأعراف ، الآية 189.
4. القرآن الكريم: سورة الأنعام، الآية 151.
5. القرآن الكريم: سورة الإسراء، الآية 31.
6. القرآن الكريم: سورة التكوير، الآية 8-9.
7. القرآن الكريم: سورة النساء، الآية 32.
8. القرآن الكريم: سورة النساء، الآية 24.

الكتب باللغة العربية :

1. أبو قاسم سعد الله: الحركة الوطنية 1900-1930، دار الأدب ، بيروت ، 1969.
2. أحلام مستغانمي ، رواية ذاكرة الجسد ، دار الآداب ، بيروت ، ط 16 ، 2001.
3. إسماعيل حاجم: الصراع الحضاري في الرواية الفرانكفونية المغربية، دار الأمل، تيزي وزو، 2007.
4. آمنة بلعلي: المتخيل في الرواية الجزائرية ، من المتماثل إلى المختلف، دار الأمل، تيزي وزو، 2006.
5. بوشفرة نادية: هوية الضمائر بين الجدل للأنا والآخر في رواية حمائم الشفق.
6. بوعلي ياسين- نبيل الأدب والايديولوجية سوريا، دار الحوار للنشر وللتوزيع ط 2 1985.
7. حسين هيكل محمد ، المكتبة ، النهضة المصرية ، مصر ، ط 3 ، 1968.
8. رشيد بوجدره فوضى الأشياء عند المرأة في الرواية الجزائرية ، ب.ط و ب.س.
9. سعد اليازغي: الاختلاف الثقافي وثقافة الاختلاف، المركز الثقافي العربي، بيروت، للدار البيضاء، ط1، 2008.
10. سلامة موسى للمرأة ليست لعبة للرجل الشركة الوطنية للنشر والتوزيع جوان 1956.
11. سليم ناصر بركات : مفهوم الحرية الفكر العربي حديث، مؤسسة الوحدة للصحافة والنشر والطباعة .
12. سيبرور طه عبد الباقي الرابعة العدوية والحياة الروحية في الإسلام، دار الفكر لعربي ، بيروت ، ط3، 1975.
13. صورة الآخر: العربي ناظرا ومنظور إليه، تحرير الطاهر لبيب ، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت 1999،
14. صورة المرأة الأوروبية في الأدب العربي المعاصر ، روتوروفلاندا ملحق 2 صورولوجيا.
15. طاهر لبيب: صورة الآخر ناظرا ومنظور إليه مركز دراسات الوحدة العربية.
16. طه ندا: الأدب المقارن، دار النهضة العربية، بيروت،.

17. عابر سرير ، رواية أحلام مستغانمي ، منشورات ط 2 ، 2003 .
18. عبده عبود ، الأدب المقارن ، مدخل نظري ودراسات تطبيقية ، مديرية لكتب والمطبوعات الجامعية ، مطبعة المدينة ، 1977-1998 .
19. عبود عبده الأدب المقارن مدخل نظري ودراسات تطبيقية ، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية ، مطبعة المدينة، سوريا، 1997/1998 .
20. عبود عبده الأدب المقارن مدخل نظري ودراسات تطبيقية ، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية ، مطبعة المدينة، سوريا، 1997/1998 .
21. العيد يمى الدلالة الاجتماعية لحركة الأدب الرومانطيسي - دار الفارابي - بيروت ، / 1979 .
22. فوضى الحواس - الرواية - لأحلام مستغانمي ، دار الآداب ، بيروت ، ط 9 ، 1999 .
23. كامل محمد عويضة: سلسلة علم النفس الشخصية ، ب.د و ب.س .
24. مأمون فريزر جرار: خصائص القصة الإسلامية عن المرأة في الرواية الجزائرية .
25. محمد سفوح الأخرص ، المرأة والتحويلات الاقتصادية والاجتماعية ، ط 1، 1987، لدار طلاس للدراسات والترجمة .
26. محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، دار العودة ، دار الثقافة ، ط 1، بيروت 1999 .
27. مرزاق هداية الشخصية الروائية عند الطاهر وطار - رسالة ماجستير مخطوطة، جامعة الجزائر 1986 - 1987 .
28. المصطفى مويقن: بنية المتخيل في نص ألف ليلة وليلة، دار الحوار للنشر والتوزيع ، سوريا ، ط 1، 2005 .
29. مصلح النجار: الدراسات الثقافية والدراسات ما بعد الكولونيالية الأهلية، الأردن، ط 1، 2008 .
30. مفقودة صالح: المرأة في الرواية الجزائرية، دار النشر للطباعة والتوزيع ، ط 2، 2009 .

31. مفقودة صالح: المرأة في الرواية الجزائرية، دار النشر والطباعة والتوزيع ، ط2، 2009.

32. واسيني الأعرج، مجمع لنصوص الغائبة، انطولوجيا الرواية الجزائرية التأسيسية ، التأصيل الروائي ، القضاء

الجزائري أكتوبر ، 2007.

الكتب باللغة الأجنبية :

32.Gilbert Durand : Les structures anthropologique de l'imaginaire,
Dunod paris onzième édition , 1992

33.Jean Burgos pour une poétique de l'imaginaire, aux édition du
.seul, 1982